مختصر الإمام الأمجد

الشيخ أحمد بن المهدى الغزال

في ذكر نسب وسيرة ومشايخ وبعض مناقب

منبع الأسرار ومطلع الأنوار

شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة

سيدى محمد بن عيسى

نفعنا الله ببركاته آمين

ويليه

مجموع به قصائد المديح

وسفينة المالوف والمجرد

وغير ذلك مما يضمه المقام كما تراه

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم خلفاء

طبع على نفقة

الشيخ شعبان محمد التاجورى

صاحب مكتبة إحياء الكتب العربية — طرابلس (ليبيا)

شارع سوق الترك رقم ١٥٤

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م

أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى أنار بنور هداه قلوب العارفين ، فأشرفوا على مناهج التوفيق بأدلة التحقيق فكانوا لها سالكين ، وكشف لهم عن أنوار أسرار أذكار الذاكرين ، فكانوا بلسان تصحيح تصريح التسبيح ناطقين ، وأعانهم على أقدام العزم فكانوا هم المقربين ، ولم يزالوا بأكمل أفضل الأعمال عاملين ، فانتهوا إلى مناصب عجز عن وصفها وصف الواصفين ، نحمده حمدا يزيد على حمد الحامدين ، ونشكره شكراً يربى على شكر الشاكرين ، ونستعين به على الوفاء بعهده ، ونسأله الإلهام والتوفيق إلى رشده ، ونتضرع إليه فى توبة صادقة عاجلة ، قبل حلول منية فاجئة قاتلة ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين ، شهادة نجدها عدة ليوم تفر فيه الأمهات عن البنين ؛ وتتطاير فيه الصحف فمن آخذ كتابه بشماله ومن آخذ باليمين ؛ ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين ، أرسله إلى الكافة بالدليل وأوضح التبيين ، سلك الله بنا طريقه الواضح المبين ، وأعاننا على التمسك بحبله الأقوى المتين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه الخلفاء الراشدين ، وعلى جميع الأنصار والمهاجرين ، صلاة وسلاما تامين دائمين إلى يوم الدين .

أما بعد : لما منّ الله الكبير المتعال ، على عبده الفقير إلى كرمه المتوال ، أحمد بن المهدى الغزال ، مصحوباً بالهمم العوال بمعرفة الرجال الأجواد ، وخدمة الفقراء

للشريف القاضي ببلاد الهبط ، في كتابه الموسوم [بالدوحة] فقال : هو الشيخ المربي العارف بالله تعالى مورد المريدين ، ومفيد المسترشدين ، صاحب الإفادة ، والتنويه والإشادة ، سيدي محمد بن عيسى المكناسي ، كان رضي الله عنه من فحول المشائخ الداعين إلى حضرة الحق ، قال : وسمعت بالتواتر من أهل مكناسة الزيتون أيام سكناي بها ، كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ في حياته وبعد مماته ، وعرف به أيضاً الشيخ الإمام العلامة الأوحد أبو محمد سيدي عبد الرحمن الفاسي في كتابه الموسوم بـ[ابتهاج القلوب](1) قال : هو الشيخ الجليل السالك المسلك الدال على الله تعالى أبو عبد الله سيدي محمد بن عيسى رضي الله تعالى عنه ، السفياني الأصل ، ثم المختاري ، ولد ونشأ فيهم ، وكانت ولادته رضي الله تعالى عنه وأمدنا من فيض مدده في القرن التاسع سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة .

وصفته رضي الله تعالى عنه : ربعة أبيض اللون ، أعطر للشعر الغالب عليه الحمرة ، أزج الحاجبين ، قصير السواعد ، عريض القدمين ، ذو هيبة ووقار ، فصيح صاحب نطق ، وقد تربى بين أبوين صالحين تربية حسنة ، كما قيل :

نشأ في ظلال العز وارتضع العلا فجاء تقي يختال في رتب الشم

ثم إن والده ارتحل به إلى مدينة فاس ، بنية قراءة القرآن العظيم وطلب العلم ، وقد جد الشيخ في ذلك إلى أن فتح الله عليه في أقرب زمان ، ثم إن والده رجع إلى قبيلة سفيان ، وكان من أمره ما كان ، وكان رضي الله عنه منذ خلق متحليا بالجلال والجمال والكمال ، ولم يظهر عليه خيانة قط لا في الحال ولا في المقال ، وكان رضي الله

---

(1) وقال في الابتهاج : سمعت الشيخ الخطيب الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمن بن بصري الوطاسي المكناسي خطيب مكناسة الزيتون ، يقول : ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير بالمغرب : السيد بن عيسى ، والسيد أبو محمد الغزواني ، والشيخ أبو محمد الهبطي ، وعلى الجملة فهو واحد المشايخ الذين يقتدى بهم ويهتدى بهم اهـ .

وقال سيدي عبد السلام الأسمر في وصيته الكبرى : إخواني ، أفضل مرابطي الغرب : سيدي محمد ابن عيسى ، وسيدي أبي يعزى .

عنه مهيب النظر ، كريم النفس ، كثير الأدب ، جميل المعاشرة ، صاحب محبة وحنانة ، حلو الكلام ، كأن الله عجن طينة جسده من سائر المحاسن ، رضى الله تعالى عنه .

فصل فى ذكر مشائخه الذين أخذ عنهم

الطريق بالعهد والصحبة

أقول : قال الشيخ العلامة سيدى عبد الرحمن الفاسى فى كتابه المذكور : لما رجع الشيخ ابن عيسى إلى قبيلة سفيان ، ذهب إلى الشيخ الولى الكبير العارف الشهير سيدى أبى العباس أحمد بن عمر الحارثى المكناسى ، وكان هذا الشيخ رحمه الله تعالى من الأكابر الذين لهم التصريف الربانى ، صاحب الشيخ الإمام القطب الهمام سيدى محمد بن سليمان الجزولى ، وأخذ عنه الطريق بالعهد والصحبة فهدى الله به أمة عظيمة ، وكان مشايخ الصوفية يعظمونه غاية التعظيم ، ويثنون عليه الثناء الجميل ، ويحكون عنه عجائب الأسرار ، وكان لسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، فلازمه الشيخ ابن عيسى ، وأخذ عنه الطريق بالعهد والصحبة له ، وقرأ عليه كتب القوم ، وتربى على يده بالطريقة الجزولية المحمدية إلى أن فتح الله عليه بالولاية ، وكان قد حان قرب أجل الشيخ الحارثى ولم يكمل له الفتح ، فقال للشيخ ابن عيسى : يابنى ؛ قد فتح الله عليك بالولاية وبقى لك شىء من الفتح ، وقد قرب أجلى ، فعليك يابنى بالذهاب بعد وفاتى إلى صاحب الوقت بمدينة مراكش حرسها الله تعالى ، وخذ عن أخى الشيخ سيدى عبد العزيز التباع ، فهو صاحب الوقت فى هذا الزمان ، وخليفة شيخنا القطب الجزولى ، والوارث لمقامه ، وهو يكمل لك الفتح إن شاء الله تعالى ، ثم بعد أيام قلائل توفى الشيخ الحارثى رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته فى العشرة الأولى من القرن العاشر ، ودفن بزاويته خارج مدينة مكناسة الزيتون ، وقبره هناك مشهور ، وهو مزارة عظيمة ، عند أهل مكناسة ، قريب من زاوية تلميذه الشيخ سيدى محمد بن عيسى ، نفعنا الله ببركتهما آمين .

ثم إن الشيخ سيدى محمد بن عيسى رضى الله عنه ، لما توفى شيخه سيدى أحمد الحارثى ، توجه إلى مدينة مراكش كما أمره شيخه لأجل الأخذ وتكملة الفتح على يد الشيخ التباع رضى الله عنه ، فلما وصل إلى مدينة مراكش قصد زاوية الشيخ التباع فوجده بالزاوية المذكورة ، وهو جالس مع أصحابه وتلامذته يقرؤهم فى المعارف الربانية ، فلما فرغ من ذلك قام الشيخ سيدى محمد بن عيسى لأجل السلام على الشيخ التباع ، فلما رآه قام إليه إجلالا وتعظيما لقدره وعانقه ، وقال له : أهلا وسهلا بالابن الصالح والخليفة الناصح ، وصار ينظر إليه ، فأطرق الشيخ ابن عيسى رأسه إلى الأرض حياء منه ، ثم إن الشيخ التباع عطف عليه ، وقال له : إسمع منى يابنى ، إن أخى الشيخ سيدى أحمد الحارثى قد صفى درهمك ولم يطبعه لك ، وغير المطبوع فى السوق لايجوز ، فها أنا قد طبعته لك بإذن من الله تعالى ، فحينئذ قد تم الفتح له ، وقد امتلأ الشيخ ابن عيسى رضى الله تعالى عنه مدداً عظيما ، ثم جدد الأخذ عن الشيخ التباع ودخل فى الطريقة المذكورة بالعهد ، وصاحبه نحو شهر وهو مقيم عنده والشيخ التباع لايفارقه ليلا ولا نهارا ، ولقنه الذكر وأعطاه مفاتيح الطريقة من أحزاب وأوراد ووظائف ، ولقنه أيضاً سر العهد وأمره بكتمانه وبالاحتفاظ عليه ، وقال له : هو عهد الله لا عهدى ولا يعطى إلا من صدر إلى صدر ، وأمره أيضاً بالتصريف والجلوس لتربية المريدين وإرشادهم إلى سبيل الهدى ، ثم إن الشيخ ابن عيسى قد قبل منه ذلك وحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم إنه عطف على الشيخ التباع ، وقال له : ياسيدى نريد من فضلكم أن تتمم لى الإذن فى قراءة كتاب شيخنا القطب سيدى محمد بن سليمان الجزولى ، المسمى بـ[دلائل الخيرات وشوارق الأنوار فى ذكر الصلاة على النبى المختار] فقال له : نعم ، ولكن اسمع منى يابنى ، إن الإذن فيه مقصور على صاحبه وهو كبير تلامذة شيخنا الجزولى ، وهو أخى سيدى محمد الصغير السهلى لأن شيخنا رضى الله عنه قد خصصه بذلك . فاذهب إليه وخذ عنه الطريق كما أخذت عنى ، والتمس منه الإذن فى قراءة الكتاب المذكور لك ولأتباعك وأتباع أتباعك وهلم

جرا إلى ما شاء الله تعالى، فإن شيخنا القطب الجزولى قد أمره بذلك وأوصاه على ذلك، كما أمرنى أيضا بأن نعلمك أن الخلافة الجزولية تصير إليك من بعدى ، وذلك بإذن من الله سبحانه وتعالى؛ ثم إن الشيخ سيدى عبد العزيز التباع رضى الله تعالى عنه طلب من الشيخ ابن عيسى أن يذهب معه ليلا إلى ضريح الشيخ الجزولى بقصد الزيارة له ، قال : نعم ، وذهبا جميعاً ودخلا إلى الضريح ، وجلسا هناك تجاه قبره المبارك نحو ساعة زمانية ، ورائحة المسك تخرج من قبره من كثرة صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا السر محقق وهو موجود إلى زماننا هذا .

قلت: وجدت مزبوراً بخط الشيخ العالم الولى الصالح سيدى أبى مهدى الفجيجى ، وهو تلميذ شيخنا سيدى محمد بن عيسى رضى الله تعالى عنهما ، أنه ذكر أن شيخنا قدس الله سره قد اجتمع بالشيخ الجزولى اجتماعا روحانياً فى عالم الخيال ، وأخذ عنه الطريق وأمره بتربية المريدين وإرشادهم على طريقته وبشره بكل خير ، وكان ذلك فى مدة إقامته عند شيخه سيدى عبد العزيز التباع بمدينة مراكش اه .

ثم إن الشيخ سيدى محمد بن عيسى استأذن الشيخ التباع على أن يسافر إلى بلده ، ومقره مكناسة الزيتون ، فأذن له فى ذلك ، وأمره بملاقاة كبير التلامذة الشيخ سيدى محمد الصغير السهلى ، وأكد عليه فى الاجتماع به والأخذ عنه كما ذكر ، وكان هذا الشيخ أبو فارس سيدى عبد العزيز التباع رضى الله عنه إماماً عالماً ، وشيخاً وأستاذاً كاملا ، أستاذ الأكابر ، وجرثومة المفاخر ، شيخ المشايخ وقطب وقته وغوثه النفاع وإمام أئمة الطريقة فى عصره من غير اختلاف ولا نزاع ، تخرج على يده من الأكابر مالا يكاد يحصيه عدد ، وكان يقال: النظرة فيه تغنى ، ووصفه شيخه القطب الجزولى بالكمياء ، رضى الله عنه ونفعنا به آمين ، وكانت وفاته رحمة الله عليه سنة أربع عشرة وتسعمائة ، ودفن بزاويته داخل مدينة مراكش بين الثلاثة فحول [1] وقبره هناك مزارة

(١) قوله (بين الثلاثة فحول) : هذا على لسان أهل القطر يعنى الثلاثة طرق لأن الفحل عندهم الطريق الواسع .

عظيمة ، ولما توجه الشيخ سيدى محمد بن عيسى إلى السفر ، جاز فى طريقه على البلاد التى يسكنها الشيخ السهلى ، وهى تعرف بخندق الزيتون قرب ولدى اللبن من أحواز مدينة فاس ، وكان هذا الشيخ سيدى محمد الصغير السهلى رضى الله تعالى عنه ، من أكابر الأولياء المحققين ، والعلماء العاملين ، وواحد الأفراد من الواصلين ، وذوى الهمم العلية من المقربين ، وهو كبير تلامذة الشيخ القطب الجزولى ، وكان رضى الله عنه عند شيخه يصطاد الرجال بهمته ونظرته ، فانتفع به كثيرون ، وتخرج على يده رجال وكان مقصداً للزائرين ووجهة للطالبين ، فلما قدم الشيخ ابن عيسى عليه فرح به فرحاً عظيما ، وقبله بين عينيه وضمه إلى صدره ، ثم أطلقه وقال : مرحباً بالإبن المبارك والخليفة الثانى ، وجلس معه وقال له : أعد على مقالة أخى الشيخ سيدى عبد العزيز التباع عند ملاقتك إياه واجتماعك به ، فقال له الشيخ ابن عيسى : نعم ، قال لى : إن أخى سيدى أحمد بن عمر الحارثى قد صفى درهمك ولم يطبعه لك ، وغير المطبوع فى السوق لايجوز ، فها أنا قد طبعته لك ، ثم إن الشيخ السهلى ورد عليه وارد عظيم ودار دورة حالية ، وقال له : هلا قال لك ها أنت وربك ، فامتد الشيخ ابن عيسى مادة قوية جدا ، ثم أخذ الطريق عنه كما أمره بذلك شيخه التباع ، وبعد ذلك طلب منه كتاب دلائل الخيرات والإذن فى قراءته له ولأتباعه ، فقال له : نعم ، وبهذا أمرت ، ثم أتى له بنسخة من الكتاب المذكور مزبورة بخطه ، وعلى ظهر النسخة المذكورة مزبور بخط الجزولى ما نصه :

كتبت كتابى قبل نطقى بخاطرى وقلت لقلبى أنت بالشوق أعلم
فسلم عليهم يا كتابى وقل لهم مقامكم عندى عزيز مكرم

وفى آخر النسخة المذكورة بخط الشيخ الجزولى أيضاً رحمه الله ورضى الله عنه ما نصه :

عود لسانك كثرة الصلاة على محمد خير ما به قد اشتغل
فهو المصيد به يا أيها الرجل فاصطد به الخير لاتصطد به الحيل

ودم عليها لكى ما تنجى من وجل في القبر والحشر لاتبغى به بدلا
من فى صحيفته من الصلاة على محمد قدر سطر يعدل الجبلا

ثم إن الشيخ السهلى رضى الله عنه لما أعطاه الكتاب المذكور ، قال : اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وأنبياءك وأولياءك أنى قد بلغت الأمانة لصاحبها ، ثم إن الشيخ ابن عيسى رضى الله عنه قبل الكتاب المذكور أحسن قبول ، ثم قبله وشكر الله تعالى ، وشكر الشيخ السهلى على مروءته وحسن عهده ، ودعا له بحسن الختام .

وكانت وفاة الشيخ سيدى محمد الصغير السهلى رحمه الله تعالى عن سن عالية جدا فى سنة ثمانى عشرة وتسعمائة ، وقبره ببلاده مشهور مشهود ، وقد بنى عليه الشيخ سيدى عبد الله الغزوانى روضة حافلة ، وهؤلاء المشائخ الثلاثة الذين أخذ عنهم الشيخ ابن عيسى الطريق ، وهم الشيخ سيدى أحمد بن عمر الحارثى ، والشيخ القطب سيدى عبد العزيز التباع ، والشيخ سيدى محمد الصغير السهلى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وهم بثلاثتهم أخذوا عن الشيخ القطب الولى الكامل ، الغوث الحافل ، الصوفى الباهر النجم الزاهر ، صاحب الإرشادات العلية ، والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، والأسرار الربانية ، والهمم العرشية ، منشى معالم الطريقة ، بعد خفاء آثارها ، ومبدى علوم الحقيقة ، بعد خبو أنوارها ، قطب السالكين ، وحامل لواء العارفين ، الشيخ الإمام ، القطب الغوث الهمام ، أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى ابن على بن عيسى بن عبد الله بن جيندوب بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان ابن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على وفاطمة الزهراء ابنة النبى صلى الله عليه وسلم المعروف بالجزولى ، وهو مؤلف كتاب [دلائل الخيرات] وكفاه هذا التأليف العظيم شهادة على سمو قدره ونمو فخره ، وقد ألف كثير من العلماء كتبا كثيرة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا أقبل الناس إلا على هذا الكتاب المبارك

وقد عم هذا الكتاب جميع الأقطار شرقاً وغرباً وذلك من بركته وبركة مؤلفه رضي الله تعالى عنه ، قال الشيخ الفاضل سيدى عبد الله العياشي رحمه الله تعالى :

عليك بما يحويه هذا المؤلف ففيه غنى الدارين إن كنت تعرف
فلازمه واستمسك به إن تكن فتى لديك إلى حب الرسول تشوف
حوى صلوات طيبات كثيرة على المصطفى أزهارها منه تقطف
فمنها الذى قد أسندته أئمة وأخرى أتت فيما رووه وصنفوا
دلائل خيرات موائد نعمة شوارق أنوار بها نتشرف
بدائع رحمات موارد حكمة حدائق جنات من الله تزلف
مؤلفها غوث الزمان وغوثه أقر له بالفضل من هو منصف
له فى مقامات اليقين تمكن وسر خفى فى المعارف يلطف
جزاه إله العرش عن جمعه الذى به يترقى السالك المتصرف
ولا تعدون عيناك عنه فإنه كتاب بأنواع الفضائل يعرف
لقارئه الحسنى غدا وزيادة وقرب مكين بالمواهب يوصف

وقال آخر رحمه الله :

كتاب دلائل الخيرات ورد بعذب وروده تشفى الصدور
وفيه شوارق الأنوار تبدو فيعلو الناسكين بها سرور
تفيد محبة الهادى وشوقاً يكون به لحضرته العبور
تنعم فى رياض الحسن منها تجنك من معارفها قصور
ويخدمك الوجود وما حواه وتحنو فى الجنان عليك حور
ألا لاتعدون عيناك عنه ولازمه ففيه هدى ونور

وقال آخر رحمه الله :

كتاب دلائل الخيرات ركن شديد للنجاة من الهوان
فكثر من قراءته وواظب عليه واستدمه غير وان

تجد بركاته أمامك تجنى قطوفا من مواهبها دوان

تنبيهان : (الأول) هو أننى قد وجدت مزبورا فى بعض التقاييد مما هو مأثور عن الشيخ القطب سيدى محمد بن سليمان الجزولى ، أنه قال : قراءة كتاب دلائل الخيرات فى حق أتباعنا وتلامذتنا أبلغ فى الثواب من قراءة غيرهم اه .

(قلت) : إن هذا الكتاب المبارك كتاب شيخهم رضى الله تعالى عنه وورد من أورادهم فيكون فى حقهم أبلغ .

(الثانى) قد وجدت أيضاً مزبوراً بخط الشيخ العلامة سيدى محمد العربى ابن الشيخ العلامة الولى الصالح أبى المحاسن سيدى يوسف الفاسى رحمهما الله تعالى ، على ظهر نسخة من كتاب [دلائل الخيرات] ما نصه : ذكر لى بعض الفقهاء من الحفاظ ، أن مما جرب لقضاء الحوايج وتفريج الكرب ، قراءة كتاب [دلائل الخيرات] أربعين مرة ويجتهد القارئ أن يكمل هذا العدد قبل تمام الأربعين يوما ، فإن الحاجة تقضى كائنة ما كانت ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم اه .

وقال الشيخ الفاضل العلامة الأوحد سيدى محمد المهدى الفاسى فى شرحه الموسوم [بمطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات] : أن الشيخ القطب سيدى محمد بن سليمان الجزولى قد اشتهر ذكره فى الآفاق ، وظهرت له الخوارق العظيمة والكرامات الجسيمة والمناقب الفخيمة ، التى تحار الأذهان الثاقبة فيها ، وتعجز العقول الزكية عن تلقيها ، وذكر أنه اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألفاً وستمائة وخمسة وستون ، كلهم ممن نال منه خيراً جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم منه ، وقال أيضاً : واختلف الناس فى وفاته ، والأصح ما قاله معاصره الشيخ أبو العباس سيدى أحمد زروق رضى الله عنهما قال : إن وفاة الشيخ القطب الجزولى كانت فى سنة سبعين وثمانمائة ، ودفن بعد نقله برياض العروس داخل مدينة مراكش حرسها الله تعالى ، اللهم انفعنا بمحبتهم ، واحشرنا فى زمرتهم ، ولا تخالف بنا يا مولانا عن سنتهم ، ولا عن طريقتهم آمين .

يا عباد الإله إن عبيداً لاذ من أجلكم بركن قوى
فاقبلوه بفضلكم وارحموه واشفعوا فيه للإله العلى

فصـــل

اعلموا رحمكم الله ، أن شيخنا سيدى محمد بن عيسى رضى الله عنه لما شرب من أعذب الموارد ، وتوجه من عند شيخه الثالث ، وهو سيدى محمد الصغير السهلى رضى الله تعالى عنه ، ذهب إلى بلده ومقره مدينة مكناسة الزيتون ، وقد جلس لتربية المريدين وإرشادهم إلى سبيل الهدى والأنوار تخفق على وجهه وعليه مهابة عظيمة فاستنارت به البلاد ، وحصل به نفع كثير للعباد ، وصار وجهة للطالبين وحجة للمسترشدين ، وصار الناس يتزاحمون عليه بقصد التبرك به والأخذ عنه ، وقد شاع صيته وذكره فى سائر أقطار المغرب ، وكثرت أتباعه وانتشرت طريقته وصارت الوفود ترد عليه بالألف والمئين ، حواضر وبوادى يأخذون الطريق عنه ، وقد قال تلميذه الشيخ الفقيه العالم سيدى أبو مهدى ، فيما وجدته مقيدا بخطه ، ما نصه : اعلم أن شيخنا سيدى محمد بن عيسى تداركنا الله برضاه هو الإكسير الذى لانظيرله ، وكان رضى الله عنه كثير الأتباع ، فمنهم من سبقت له سابقة عناية فأدرك بصحبته الولاية فهم أهل الإرادة والتحكيم ، ومنهم من فاز بالخير والنجاح والفلاح وتهيأ إلى الصلاح ، ومنهم من حصل لهم التبرك والهداية ، والتوفيق والرشد والدراية ، ومنهم من حصل له الانتساب إلى الجناب ، والتشبه بذوى الألباب ، وكان رضى الله تعالى عنه يوصى عامة مريديه بالبر والتقوى ، وبملازمة الصلوات فى أوقاتها ، وتلاوة القرآن العظيم ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقراءة الأحزاب والأوراد والوظائف والأذكار ، ويأمرهم بالأدب والصدق والمحبة والسخاء والحنانة والرأفة على الإخوان ، ولا يبيعون إخوانهم بزلة ويجعلون المسلمين فى حل ويكفون ألسنتهم عن إذاية المسلمين وكان رضى الله تعالى عنه يتكلم مع خواص أصحابه من مادة عين الرحمة الكبرى ،

ويبشرهم بفضل الله تعالى دنيا وأخرى ، يتكلم مع كل واحد منهم على قدر ذوقه ، ويصف له من المعارف على وسع طوقه ، وكان له التصريف النافذ فى القلوب والقوالب ويمد كلا منهم من مدد الله له ومدد الله غالب ، ومن خصائصه رضى الله تعالى عنه : أنه يتكلم على اللائق بحال المستمعين ، ويعطى كل ذى حق حقه ، ويمد كلا منهم تارة بلحظه وتارة بلفظه ، ويسمع كلا من الآخذين عنه كلاماً يفيده فى طريقه ويمده فى تحقيقه ، مما خصه الله به من الإمدادات المحمدية الجزولية ، لتحقيق الميراث له بالتبعية ، وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى الترجمة وحسن التعبير مع ضرب الأمثال ، وإفراغ الحقائق فى قوالب العبادات والعادات ، ويؤيدهما بشواهد الشرع ، وقد كسا الله كلامه نوراً فكان يتأثر بكلامه الحاضرون وتشرق به بواطنهم ، وتنهض بحاله ومقاله هممهم ، ويفهمون عنه من معنى ماهم فيه ، بل كل يرى أن العبارة توجهت إليه فلا تصعب عبارته على المبتدى ، ولا يستوفى إشارته المنتهى ، وكانت عنده الكيمياء[1] الجزولية ، الخالصة المرضية ، التى تقلب الأعيان ، وتحيل نحاس النفوس إبريزا فى أقرب زمان ، فتقلب ظلامها نوراً وحزنها سروراً أمدنا الله تعالى من مدده وسقانا من فيض مورده ، آمين :

لى سادة لى سادة   أقدامهم فوق الجباه

إن لم أكن منهم فلى   فى حبهم عز وجاه

وكان مقامه رضى الله تعالى عنه ما حكاه الشيخ العلامة العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى فى كتاب [الابتهاج] إن الشيخ محمد بن عيسى رضى الله تعالى عنه ، كان مقامه فى مشاهدة الواسطة مشهد الروح ، واقفاً فى مقام هيبة الجلال ، مفارقاً سره عالم الخلق ، مستوطناً عالم الأمر تبعاً لمشهوده ، وهو روحه صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) يشير بذلك إلى قول الشيخ الجزولى : وعنايتى فى الأزل مصبوغة بالذهب والفضة يامن أراد الذهب والفضة فعليك باتباعنا ، ومن تبعنا يسكن فى أعلى عليين فى دار الدنيا والآخرة .

فليس له مع غير الله قرار ، ولا عما سوى الله إخبار ، وله[١] رضى الله تعالى عنه مآثر جمة نفعنا الله ببركاته آمين .

فصل فى ذكر بعض شيء من كراماته

الصادرة منه فى حياته

أقول قال الشيخ اليافعى رحمه الله تعالى : اعلم أن ظهور إثبات كرامات الأولياء جائزة عقلا ونقلا ، عند أهل السنة من المشائخ العارفين ، والفقهاء والمحدثين ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقاً وغرباً ، عجماً وعرباً ، مما جاء فى القرآن العظيم والأخبار والآثار ، ففى القرآن العظيم ما أخبر الله تعالى به عن مريم بقوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله) وقوله (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا) وإلهام أم موسى عليه السلام فى قوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام ، وقصة أصحاب الكهف وكلام الكلب معهم ، وفى الأخبار والآثار حديث الصحيحين عن أصحاب الغار ، الذين انطبقت عليهم الصخرة وانفجرت ، قال بعضهم : وأما إثبات كراماتهم فجائز عقلا ومعلوم نقلا ، وممن قال بها إمام المتكلمين أبو بكر بن الطيب رضى الله تعالى عنه ، قال : المعجزات تختص بالأنبياء ، والكرامات تكون للأولياء . وقال الإمام أبو عبد الله محمد ابن عبد الكريم الشهرستانى رضى الله تعالى عنه : إن كرامات الأولياء جائزة عقلا وواردة سمعاً ، ومن أعظم كرامات الله تعالى تيسير أسباب الخير وإجرائه على أيديهم ، وتعسير أسباب الشر عليهم ، وحيثما كان التيسير أكثر كانت الكرامات أوفر ، وهذا

---

(١) وحكى فى الابتهاج أيضاً ما نصه : ومن طريقه رضى الله عنه تتبع العمل بالعلم بدوام الحمد وإجراء حكم الشريعة مع كثرة الحمد من حيث المنة به ودوام الاستغفار من حيث النظر إلى أكل منه .

أمر جائز مستفيض فى حق أولياء الله تعالى نفعنا الله ببركاتهم ، والكرامات كانت تقع فى زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ولله در القائل :

لا تستريب فى كرامات يخص بها — من اتقى الله فى سر وإعلان
وأمر مريم يكفى المستدل به — فى شأن محرابها فى آل عمران
تؤتى الفواكه أنواعاً منوعـة — بلا محاولة فى غـير إبان
وفتية الكهف فى إيقاظهم عجب — بعـد المئين كما تتلى بحسبان
أو عرش بلقيس فى إيصاله عبر — ما بين سرعة جنى وإنسان
جاءت به قدرة الرحمن فى زمن — حتى استقر بمرأى من سليمان
علم الكتاب وأعمال بموجبه — أعاد آصف ذا قول وإيقان
وكم دليل بأقوال الرسول لنا — فيها وكم حجة فيها وبرهان
ثم الكرامة أنواع إذا نظرت — كالزهر فى حسن أنفاس وألوان
مشى على الماء أو فى الجو قد نقلا — وشبع ذى سغب أو رى ظمآن
وكم أجيب ولىٌّ حين دعوته — وكم أغيث ولىٌّ عنـد إذعان
وفيهم من يحييه الجماد ومن — يغيب عن درك أسماع وأجفان
ومنهم من يرى المختار من ملك — ومن يجالسهم فى حال إخوان
وكم لهم من مقامات مكرّمـة — هذا الذى قلته منها كعنوان
صفوا فصوفوا ونالوا ضعف سعيهم — والمرء يكسب إحساناً بإحسان
فى عيش أرواحهم ماتت نفوسهم — وقد تموت نفوس دون أبدان
فافعل كفعلهم تقرب كقربهم — والفضل عمم فى القاصى وفى الدان
وإن عجزت عن الخلق الذى لهم — فاصمت فليس بعيد القوم كالدان

واعلموا إخوانى رحمكم الله : أن شيخنا سيدى محمد بن عيسى قدس الله سره له كرامات كثيرة لا تحصى ، ولا تعد ولا تحد ولا تستقصى ، فى حياته وبعد مماته ،

وكذلك أيضا أصحابه من بعده من بركاته رضى الله تعالى عنه ، ونفعنا ببركاته وسقانا من مدد خيراته آمين .

(فمنها ما قاله رضى الله عنه) من باب التحدث بالنعم ، فإنه قال : نهضت ووصلت وصولا لم يصل له أحد قط ، وكان يقول : لا يكون المسلك مسلكا إلا أن تكون قلوب أصحابه كأنها فى كفه ، وكذلك أحوالهم فى جميع تصرفاتهم ، ويعلم ما يزيد فيها وما ينقص . وقال رضى الله تعالى عنه : لا يدخل النار من قال أنا صاحب لابن عيسى ولو كان ذلك مزحاً . وقال أيضاً : إذا اجتمع سبعة من أصحابى وأتباعى بنية صالحة فأنا أكون ثامنهم ، فإذا تضرعوا لله سبحانه وتعالى فى أمر من الأمور فإن حوائجهم تقضى لا محالة ، ولو وقع الفوت فيها فإنها ترجع بإذن الله تعالى . وقال أيضاً : من زارنى[1] حيا أو ميتا ، يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ويغفر الله له ما تقدم من ذنبه ، وإن مات فى ذلك اليوم بعد الزيارة مات شهيدا . وقال أيضاً : من سأل أصحابى فى شىء فأنا أولى به منهم ، وأنا نرعى أصحابى كالراعى لغنمه ، حتى يرفع علم جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا ومن معى من الأتباع مسرعون عن يمينه إلى الجنة . وقال أيضاً : يدى على أتباعى حياً وميتاً كالسماء على الأرض . وقال أيضاً : من جلس معى فى دار الدنيا ، أو نظرنى ولو فى منامه ، ضمنت له على الله الجنة . وقال أيضاً : تالله ، لقد أعطانى ربى الربع من الدنيا من إنسها وجنها وبرها وبحرها وأشجارها وثمارها ومن جميع حيواناتها ، وأعطانى أيضاً خاتماً نختم به كل قطب وولى وعالم ، وكل ذلك من فضل ربى سبحانه وتعالى . وقال أيضاً : إن لكل ولى وارثاً إلا أنا وأهل الإحاطة ، فميراثى أتباعى وأتباعهم وأتباع أتباعهم ، وهلم جرا إلى يوم القيامة ، وإن الممد لهم من بعدى بالتصاريف الإلهية ، والأسرار الربانية ، حبيبى وقرة عينى سيدى أبو العباس أحمد الخضر سلام الله تعالى عليه . فيا معشر المريدين

---

(١) قف على فصل زيارة الشيخ رضى الله عنه .

(تنبيه) إن ما كان مكتوبا بهامش هاته الصحيفة فى الطبعة الأولى أخر إلى مابعد لجمع النظاير اه .

عليكم بذكر الله العظيم ، وبالصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبملازمة الأحزاب خصوصاً الحزب الموسوم بـ [سبحان الدايم] لايزول مقروناً بحزب [الفلاح] فإن فيه اسم الله تعالى العظيم الأعظم ، فإن لازمتموه فإنكم تفلحون وتنجحون ، وتعمر سوقكم ، وتصلوا إلى مقامات الرجال .

[تنبيه] قال الشيخ الإمام العلامة الأوحد سيدى محمد المهدى الفاسى فى كتاب [ممتع الأسماع ، بمناقب الشيخ الجزولى ومن له من الأتباع] : إن هذا الحزب المبارك له صولة ظاهرة وقوة باهرة ، وبركة واضحة ، وتحصين عظيم من الآفات العارضة اهـ .

واعلم أن القارئ لهذا الحزب العظيم لايقربه الجن ، فمن قربه منه حرق ، هذا إذا كان الجن كافرا ، وأما إذا كان مسلماً فيأتيه أولا ويقرب منه ، ثم لا يطيق فيتباعد عنه ، وقد قال ذلك سيدى أبو مهدى الفجيجى ، وقد قال الشيخ الكبير سيدى سعيد المشنزائى أحد الأوتاد الأربعة : إن الشيخ سيدى محمد بن عيسى الشريف رضى الله تعالى عنه من تمسك بأذياله نجا ، وقد شهد له بالقطبانية اهـ .

(ومن كراماته الشائعة المتواترة) رضى الله تعالى عنه وأرضاه ماوقع له مع تلميذه سيدى الشيخ أبى الرواين المحجوب رضى الله تعالى عنه : اعلم أن هذا الشيخ صحب من الأولياء والصلحاء جما غفيراً بقصد التربية والتهذيب ، ورجاء أن يفتح الله عليه بالولاية وينجيه من أهوال يوم القيامة ، وقد كان له فأس صغير مصاحب له ، يمتحن به الشيوخ الذين أراد صحبتهم ، فيقصد شيخاً منهم فيقول له : يا سيدى أنا عبد حقير مذنب ، وقد أردت خدمتك والسلوك على يديك ، ونكون من جملة أتباعك ومريديك ، فهل لك أن تقبلنى مريداً فى الله ؟ فيقول له ذلك الشيخ : قد قبلتك مريداً وولداً فى الله ؛ فيقول له سيدى أبو الرواين : اقبلنى أنا وفأسى هذا ، فيقول له ذلك الشيخ قد قبلتك أنت والفأس معك ، فيفرح بذلك فرحاً عظيما ، ويلازم ذلك الشيخ ثلاثة أيام ، ثم يذهب والفأس معه فيأتى إلى حداد من الحدادين ، ثم يقول له : يا أخى أدخل

هذا الفأس إلى الفرن ، وأوقد عليه النار ، وأنا أنظر إليك ، فيأخذ الحداد الفأس من يده ، ويدخله الفرن ، ويوقد عليه النار فيصير الفأس أحمر فى أقرب مدة كأنه قطعة نار ، والشيخ أبو الرواين ينظر إليه فإذا رآه قد احمر وصار كالنار ، فيقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وقد انقطع الرجاء من الشيخ ، ثم يعطى للحداد أجرته ، ثم يذهب فى حال سبيله وهو متحير كئيب ، ولا يرجع إلى ذلك الشيخ المسلك أبدا . وهذا ديدنه مع كل شيخ من شيوخ الوقت المتصدرين للمشيخة وتربية المريدين ، حتى ساقته المقادير إلى الشيخ الكامل فحل الرجال سيدى محمد بن عيسى رضى الله عنه ، فأتاه وخاطبه بما كان يخاطب به الشيوخ المذكورين ، وأخرج له الفأس ، وقال له : يا سيدى ، اقبلنى أنا وهذا الفأس ؛ فقال له الشيخ رضى الله عنه : ناولنى هذا الفأس ؛ فناوله له ، وأخذه الشيخ منه ولمسه بيده المباركة ، ثم رده إليه ، وقال له : قد قبلتكما جميعاً . وقد لازم الشيخ أبو الرواين الشيخ ابن عيسى الثلاثة الأيام على عادته فى ذلك ، ثم خرج والفأس معه وذهب إلى حداد آخر ، وأمره أن يفعل بالفأس ما ذكر ، وصار الحداد يوقد عليه النار وهو بارد ، حتى فرغ جميع ما عنده من الفحم الذى بدكانه ، والفأس باق على حاله لم تؤثر فيه النار بشىء ، والشيخ أبو الرواين ينظر إليه وقد طار عقله من شدة الفرح والسرور ، وقال للحداد : أخرجه يا سيدى بارك الله فيك ، فأخرجه له وناوله إياه ؛ ثم إن أبا الرواين دفع للحداد أجرته ، ودفع له أيضاً ثمن الفحم ، ودفع له أيضاً شيئا كثيرا من الدراهم ، وقال له : هذه بشارتك على الفأس ، وأنا أبشرك بدخول الجنة إن شاء الله تعالى ، ثم خرج أبو الرواين وهو فى غاية السرور ويصيح بأعلى صوته ، وهو يقول : إن شيخى وأستاذى سيدى محمد بن عيسى رضى الله تعالى عنه ، هو سلطان الأولياء فى هذا الزمان ، وصار متماديا على ذلك إلى أن وصل إليه ، فقبل أقدامه وهو جالس مع أصحابه يعظهم ، فلما فرغ الشيخ من ذلك ، قام أبو الرواين وجلس أمام الشيخ فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم سجد شكراً لله تعالى ، فقال له الشيخ : يا أبا الرواين ، وهو

متبسم ، ما السبب فى سجودك هذا ؟ فقال له : شكراً لله رب العالمين لصحبتك ، حيث منّ الله علىّ بها حتى أدخلتنى حصن الأمان ، ثم التفت أبو الرواين إلى إخوانه من أصحاب الشيخ ، وحدثهم بما وقع عليه من الشيوخ والحدادين ، وقال لهم : إن الشيخ الذى ليس له قدرة على النار بأن لا تصيب الفأس ، فليس له قدرة على صاحبه بأن لا تمسه النار يوم القيامة ، فقال له الشيخ : اعلم يا بنى ، أن الله قد أعطانى أن لا يحترق بالنار ما مسته يدى ، بمحض فضل منه سبحانه وتعالى ، ومن فضل جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن الشيخ سيدى أبا الرواين قد لازم خدمة الشيخ سيدى محمد بن عيسى ، وفتح الله عليه بالولاية الكبرى على يديه ، وصار له التصريف النافذ من الكرامات الخارقة للعادة ، وكان يسمى أعجوبة الدهر ، وله مناقب كثيرة ، وهو باق فى خدمة شيخه لا يفارقه ليلا ولا نهاراً إلى أن توفى الشيخ ابن عيسى رحمة الله عليه ورضوانه .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه : ما حكاه الشيخ الفقيه القاضى سيدى محمد ابن عسكر الشريف فى كتابه الموسوم بـ [دوحة الناشر ، لمحاسن من مات بالمغرب فى القرن العاشر] .

قال شيخنا ابن الحجاج سيدى يوسف بن مهدى الفجيجى : إن شيخنا سيدى محمد بن عيسى هو الإكسير الذى لا نظير له ، وقد حضرت عنده يوماً وقد جاءه تلميذه الشيخ سيدى أبو الرواين ، وقال له : يا سيدى ، إنى جعلت زمام نفسى بيدك ، وقد شغفت بحب النساء ، ومقصوده بذلك الامتحان ، فإن لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصى الله تعالى الليلة يعنى نفسه ، ووالله حتى أفعل ، فقال له الشيخ : اذهب وافعل ما شئت ، فإن الله قادر على أن لا تفعل ، ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله سبحانه وتعالى ، قال : فلما كان من الغد جاء الشيخ أبو الرواين ، وهو فى غاية الضعف ووجهه مصفراً ، فقلنا له : مالك هكذا ، فقال : شاهدت العجب البارحة ، فقلنا له : وما ذلك ؟ قال : ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندى

لأبر عينى بالأمس فأتت ، فما كان إلا أن وصلت إلىّ ، وهممت بها فإذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائى ، فبقيت مستلقيا على ظهرى كالميت لا أقدر على نطق ولا على حركة ، حتى إذا طلع الفجر سمعت صوت الشيخ وهو يقول : أتتوب إلى الله يا أبا الرواين ؟ فقلت بصوت خفى : أنا تائب إلى الله عز وجل ، فقال : قم وتوضأ لصلاة الصبح ، فنهضت فإذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال ، فلما دخلت على الشيخ قال : يا أبا الرواين ما فعلت ؟ فقلت : يا سيدى من يكون فى رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية ، فقال الشيخ : الحمد لله على تأييده ورحمته ، ثم التفت لنا أبو الرواين وقال : من لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ فهو فى غرور ، فقضينا من أمره العجب اه .

وقد قال الشيخ سيدى عبد الرحمن الفاسى فى كتاب [الابتهاج] : إن الشيخ سيدى أبا الرواين لم يتزوج قط ، ويتضح سر ذلك لما تقدم له مع شيخه سيدى محمد ابن عيسى ، من بقية تسلط همة شيخه فى دفع النساء عنه حيا وميتا ، وأن النساء لايدخلن زاويته ، ولا يقفن على قبره ، ومن قربت من ضريحه تزحف أو تعمى والعياذ بالله .

(قلت) : وهذا أمر مشهور ومشهود إلى زماننا هـذا . وقال أيضاً سيدى عبد الرحمن المذكور : حدثنى الشيخ الوالد رضى الله تعالى عنه أن الشيخ سيدى أبا الرواين كان متمكنا فى مقام الخوف ، وكان يأتى فراشه من الليل ، ثم يقوم ويقرع باب دار شيخه سيدى محمد بن عيسى حتى يكلمه ، فيقول له : ياسيدى ، نحن كما كنا أو ما زلنا ، أين كنا ، فيقول له الشيخ رضى الله عنه : نعم إن شاء الله تعالى ، وذلك خوفاً من أن يكون وقع له سلب ، ثم قال الشيخ الوالد رضى الله عنه : وهذا نحو ما ورد عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه كان يأتى الفراش ، ثم لا يضع جنبه فيأتى حذيفة بن اليمان فيناشده الله ، هل يعلم فيه نفاقا ؟ فيقول : لا ، ولـكن لا أقول هذا لغيرك ، وهذه حالة متمكنة ، وحالة سيدى أبى الرواين شبيهة بها ، نفعنا الله به آمين .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه: أنه أتاه رجل من أتباعه من أهل مكناسة ، فقال له : ياسيدى ، عندي زوج من الثيران بقصد الحراثة يحرث عليهما أجير ، وقد أصبح أحدهما ميتا ، وقد بقى له من الزرع قدر النصف بدون بذر ، وليس الآن فى قدرتى ما أشترى به ثوراً آخر نتمم عليه ما بقى من الزرع ، فقال له الشيخ : اذهب إلى راعى بقرنا ، وخذ منه ثوراً يرضيك ، واربطه مع الثور الآخر وتمم البذر الذى أردته ، وأبقه عندك عوضاً عن الثور الذى مات ، فأقسم الرجل بالله تعالى ، وقال : لا أفعل ذلك ، وإنما قصدت بذلك إخبارك ، فقال الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وسكت ، ثم قال له : إذا كان ولا بد مر أجيرك يذهب غداً إلى الأرض التى يريد بذرها ، ويرفع معه الثور المنفرد ، ويحمل آلة الحراثة ، فإنه يجد هناك ثوراً من أحسن الثيران فيربطه مع الثور المنفرد ، ويتوكل على الله فى البذر ، فإذا جاء المساء وأراد الرواح يحله ويتركه هناك ، ويذهب بالثور المنفرد إلى مربطه ، يفعل هكذا فى كل يوم إلى أن يتم الزرع ؛ ثم إن ذلك الرجل ذهب إلى أجيره وأعلمه بمقالة الشيخ فذهب الأجير من الغد إلى الأرض التى أراد البذر فيها ، ومعه الثور المنفرد ، وآلة الحراثة ، فلما وصل وجـد هناك ثوراً عظيما فربطه بإزاء الثور المنفرد ، واشتغل فى الحرث ، فلما قدم المساء حله من الرباط وتركه هناك ، وذهب بالثور الآخر المنفرد إلى محله ، وصار يفعل هكذا فى كل يوم إلى أن نفذ الزرع وتمم الحرث ، فحل الثور المذكور على عادته وأراد الانصراف بالآخر ، ثم نظر إلى ذلك الثور فإذا هو أسد عظيم فحصل له منه رعب شديد وصار يرتعد من شدة الخوف ؛ ثم إن الأسد ذهب عنه من حينه وله زئير وزفير ، ثم إن الأجير ذهب مسرعاً إلى محله ، وأعلم بذلك صاحبه فتعجب من ذلك غاية العجب ،وذهب إلى الشيخ وأخبره بما سمعه من الأجير ، فتبسم رضى الله تعالى عنه وقال : الحمد لله تعالى على بره وإكرامه ، وأمر الرجل بالاكتتام .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه مما حكاه تلميذه الشيخ الفقيه الولى الصالح سيدى أبو مهدى الفجيجى الشريف أنه قال : بينما نحن جلوس مع شيخنا رضى الله عنه بعد صلاة الصبح ، وقد جاءه رجل من إخوان مكناسة ، وقال له : ياسيدى ، أنا رجل فقير ذو عيال قاطن بجواركم بمقربة من المدينة ، ولى بقرة واحدة رغوث لا أملك غيرها يتأدم بلبنها العيال ، فجاء إليها البارحة أسد وافترسها بالوادى الذى بإزائنا ، فلما سمع الشيخ منه هذا الكلام احمر وجهه ، وقال له : إن الله سبحانه وتعالى لا يسلط الأسد على من هو بجوارنا ، فاذهب إلى الوادى فإنك تجد بقرتك هناك إن شاء الله تعالى والأسد يرعاها لك ، فذهب الرجل مسرعاً من حينه ، ثم رجع بعد صلاة العصر ودخل على الشيخ ونحن جلوس بين يديه ، وقد أخبر أنه لما ذهب إلى الوادى وجد بقرته ترعى هناك ، والأسد واقفاً بإزائها ، فلما رآنى الأسد ذهب عنها ، فتعجبنا من قدرة الله تعالى ومن بركته .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه ما حكاه تلميذه سيدى محمد بن عمر بن داود الختارى رضى الله تعالى عنه ، قال : كنت جالساً بين يدى شيخنا ، وقد جاءه شاب فقيه من أهل مكناسة ومن أعيانها وعليه أثر الغبار ، فجلس أمام الشيخ وصار يبكى بكاء شديداً ، فقال له الشيخ : مايبكيك يا فقيه ؟ فأخبره أنّ والده صار إلى رحمة الله سبحانه وتعالى وله مدة يسيرة ، وقد رأيته البارحة فى النوم وذكر لى أنه يعذب فى قبره ، وقد أمرنى بالتوجه إليك لعلك أن تدعو الله له أن يخفف عنه العذاب ، فقال له الشيخ : نعم ، وبسط كفيه وقال : اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم عندك أن تخفف عن والده العذاب ، وأمنا نحن على دعائه ، ثم إن الشاب قبل يد الشيخ وقام وهو مسرور ، وأيقن بالفرج لما يتحقق من إجابة دعائه رضى الله تعالى عنه ، ثم بعد ثلاثة أيام أقبل الشاب الفقيه المذكور إلى الشيخ عند صلاة الصبح ، وصلى معنا خلف الشيخ ، وعليه آثار الفرح والسرور ، فلما انقضت الصلاة قام الشاب وجلس أمام الشيخ ، وقبل يده المباركة وقال له : ياسيدى ، البارحة أيضاً رأيت

الوالد وهو في غاية السرور ، وعليه عباءة خضراء ، وقال لي : يا ولدي لقد رفع عني العذاب والحمد لله ، وذلك من بركة دعاء الشيخ رضي الله عنه ، فعليك يابني باتباعه وصحبته وبالدخول في طريقته ؛ ثم إن الشاب المذكور دخل في طريقة الشيخ بالعهد والصحبة ، وصار من المفتوحين عليهم بالولاية ، وهذا الشاب الفقيه هو الشيخ سيدي أحمد بن عمر بن المبارك الحصيني رضي الله تعالى عنهما .

(ومن كراماته الشائعة) رضي الله تعالى عنه ، ماحكاه تلميذه الشيخ الولي الصالح سيدي موسى بن عمران الختاري قال : ولقد حضرت يوما عند شيخنا سيدي محمد بن عيسى ، وقد جاءته امرأة وكانت من معارفنا وطلبت الإذن في الدخول إليه ، فأذن لها فدخلت وسلمت ، ثم تأخرت وكانت هذه المرأة من الصالحات ، فقالت له : ياسيدي أنا امرأة غريبة من مدينة طنجة ، ولي ولد واحد ليس لي غيره ، وقد أسره الإفرنج ، وصارت تبكي بكاء ما عليه من مزيد شوقاً لولدها ، فصبرناها فلم تصبر ، فرق لها خاطر الشيخ من الرأفة والحنانة التي أودعهما الله في قلبه ، فبسط يديه إلى ربه وقال : اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك ، أن تخلص ابن هاته المرأة من الأسر بفضلك وإحسانك ، ثم قال لها : يا أمة الله ، اعلمي أن الله قادر على خلاص ابنك ، فارجعي إلى بلادك وادخلي دارك فتجديه هناك إن شاء الله تعالى ، فخرجت المرأة المذكورة وذهبت إلى دارنا وباتت عندنا تلك الليلة ، ومن الغد ركبت دابتها وسارت إلى بلدها ، ، فلما وصلت ودخلت الدار وجدت ابنها هناك كما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه ، وقد حصل لها من الفرح والسرور شيء كثير ، وقد سألت ابنها عن سبب خلاصه من أسر الإفرنج ، ومن أتى به الدار ؟ فقال لها : اعلمي يا أماه أنه ليس عندي من العلم شيء غير أني كنت مقطنا بقطينة ومقيداً بالقيود ومعي حارسان يحرساني ، وقد كنت نائماً فاستيقظت من نومي ونظرت إلى الحارسين فوجدتهما نائمين ، وإذا برجل قد دخل عليّ ومعه عبد أسود ، وقال لي : لا بأس عليك ، ودنا مني وفك القطينة من عنقي ، وأزال القيود عني ، ثم التفت إلى ذلك الرجل الأسود وقال له :

يا عبد الله ، احمل هذا الشاب إلى دارهم بطنجة ، فقال له : نعم ياسيدى ، فحملنى ذلك الرجل وأنا لم أشعر بشىء إلى أن وضعنى فى الدار هنا ، وهذا آخر خبرى ، وهذان الرجلان ما كنت أعرفهما ولا رأيتهما سابقاً منذ عقلت ، فقالت له أمه : صف لى صفة هذا الرجل الذى حل قيودك فوصفه لها ، فكانت الصفة التى وصفها الشاب لأمه منطبقة على الشيخ ابن عيسى رضى الله تعالى عنه ؛ ثم إن المرأة المذكورة بعد أيام قلائل جاءت إلى دارنا وجاء ولدها معها بقصد التشكر إلى الشيخ فباتت عندنا تلك الليلة وقد طلبت منى أن نستأذن لها الشيخ فى الدخول هى وولدها ، فذهبنا جميعاً إلى الشيخ واستأذنته فأذن لهما ودخلا وسلما ، فنظر الولد إلى الشيخ وصاح برفيع صوته قائلا : يا أماه هذا السيد هو الذى فك عنى القيود حين كنت فى بلاد الإفرنج ، فنهره الشيخ وقال له : اسكت ، فإن الذى خلصك هى قدرة الله سبحانه وتعالى ، فتعجب الحاضرون من ذلك غاية العجب ؛ ثم إن الشيخ التفت إلينا ونحن متعجبون ، فقال لنا : أتعجبون من قدرة الله سبحانه وتعالى ؛ ثم إن ذلك الغلام تاب على يد الشيخ توبة نصوحاً وصار من أتباعه ، ثم سافر مع أمه إلى بلده ، وكان كثير الزيارة إلى الشيخ ، وهو على أحسن حال وخيره فى ازدياد .

(ومن كراماته) المتواترة عن أهل مكناسة الزيتون أن قافلة أتت من مدينة فاس ببضائع يتجرون فيها ، فنزل أهلها هناك بمدينة مكناسة واستراحوا بها ، ثم ذهبوا قاصدين زيارة الشيخ والتماس البركة منه رضى الله تعالى عنه ، وكان قد أتى مع أهل القافلة ذمى يهودى خلفوه يحرس البضاعة لهم ؛ وتوجهوا نحو الشيخ ، فلما وصلوا إليه استأذنوه فى الدخول فأذن لهم ، فدخلوا وسلموا عليه وطلبوا منه الدعاء ، فدعا لهم بالخير والبركة ، ثم قال لهم : أين الرجل الذى أتى معكم ؟ فقالوا له : يا سيدى ليس معنا أحد سوى ذمى يهودى تركناه عند رحالنا ، فقال ائتونى به الساعة ، فقام واحد من الجماعة وأتى بالذمى وخلفه خارج الزاوية ، فدخل وأخبره فأمر بإدخاله ، فلما نظر له الشيخ ونظر هو للشيخ سقط مغشيا عليه طريحا بين يديه ، فوضع الشيخ رضى الله عنه

يده على صدر الذمى نفاق من غشيته ؛ ونطق بكلمتى الشهادة فأسلم وحسن إسلامه ، وما قام من بين يديه إلا وهو ملحوظ ، وقلبه من موارد الشك محفوظ ، وقد صار من عباد الله الصالحين المقربين .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه : أنه إذا وضع راحته على ذى مرض أو عاهة يجد الفرج من ساعته ويبرأ من علته ، بفضل الله سبحانه وتعالى ، منها : ما أخبرنى به شيخى سيدى الحاج عبد السلام براده رضى الله عنه ، أن الشيخ رضى الله عنه ، قد أتى برجل به فتق عظيم ، تنزل أمعاؤه فى مذاكيره وترجع تارة بتارة ، وهو مستمر على هذا الحال إلى أن نزلت له نزولا عظيما ولم ترجع وطال أمره واشتد كربه وبقى ملقى على فراشه ، وليس له حركة ولا تنفس ، كالميت وأن الموت أقرب إليه من الحياة ؛ ثم إن أقاربه أتوا به محمولا ووضعوه أمام الشيخ وأعلموه بحاله ، فرق له ووضع يده المباركة على بطنه ودعا له بالشفاء ، وصار ينظر إليه نظرا قويا ، ثم أدخل يده تحت رأسه ، وقال له : قم بحول الله وقوته ، فإذا بالرجل قد استوى جالساً ، وكأنه لم يكن به شىء البتة ، وبرئ من علته برءاً تاما ، ولم يعد إليه ذلك أبدا إلى أن توفى ، وذلك من بركة الشيخ رضى الله تعالى عنه .

(ومن كراماته) ما أخبرنى به شيخى سيدى الحاج عبد السلام المذكور مما هو بالتواتر عن أهل مكناسة ، قال : وقد وقع للشيخ رضى الله تعالى عنه مع تلميذه الشيخ الولى الصالح أبى عبد الله سيدى محمد الشبانى ، قال : كانت بى علة البواسير ، وكانت فى السنين الماضية تثور علىّ ، ويحصل لى من ذلك وجع شديد أصيح به صياحا يسمعنى من كان خارج الدار ، حتى حصل لى إياس من نفسى ، ويعترينى المرة بعد المرة ، فلما صحبت الشيخ رضى الله عنه ، وصرت من أتباعه ومريديه ، قلت له : ياسيدى ، مريدك هذا يعنى نفسه به علة البواسير ، وقد أعيانى علاجها ، وكثر ألمها ، وقد صدتنى عن العبادة ، فهل لك ياسيدى أن تضع يدك المباركة على صلبى وتمسح بها ظهرى ، ليحصل لى من ذلك الشفاء إن شاء الله تعالى ؟ فسكت عنى

ولم يرد عليّ جواباً ، وهو ينظر إليّ ، وقد حصـــل لى من ذلك النظر الرعب الشديد استحياء منه ، فأطرقت برأسي إلى الأرض ، ثم قال لى : يا أبا عبد الله ، ادن منى ، فدنوت منه ، فوضع راحته على صلبي ماسحاً بها ظهرى ، وهو يقول : يا أبا عبد الله قد ذهب الملك بإذن الله تعالى ، فاسترحت منها فى الحال ، وكان ذلك آخر ما حصل لى من الألم بقدرة الله تعالى سبحانه ، وببركة شيخنا فحل الرجال ، نفعنا الله ببركاته آمين .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه ، مما أخبرنى به شيخنا المذكور ، مما هو متواتر أيضاً : أن رجلا فقيها شريفاً من فقهاء مكناسة الزيتون ومن أعيانها ، قد أصابه مرض فى عينيه ، وانعدم إبصاره لوجود ما نزل فيها ، وقد أعيى الأطباء علاجه ، ودام به الحال كذلك مدة مديدة ، وقد ضاق من ذلك صدره وعيل صبره ، فصار يبكى ليلا ونهاراً ، ويستغيث بالله سبحانه وتعالى ، ويتوسل إليه بالأنبيـاء والمرسلين والأولياء والصالحين ، أن يفرج عنه ما نزل به ؛ ثم إنه ذات ليلة قام إلى فراشه لينام وهو مكروب ، فرأى فى منامه شخصين قد أمراه بالذهاب إلى الشيـخ رضى الله عنه يدعو له بالفرج ، فإن له الحظ الأوفر فى إجابة الدعاء ، وإنه بركة أهل السماء والأرض ، فلما أصبح الصباح أرسل إلى صديق له موسوما بالخير ، فلما حضر قصّ عليه الرؤيا التى رآها ، فقال له : يا أخى افعل ما أمرت به فى نومك ؛ فقال له الشريف : نريد منك يا سيدى أن تذهب معى إليه ، فقال له الرجل : فإذا كان ولا بد فإنى آتيك بين المغرب والعشاء ونذهبا إليه جميعاً فيكون الخير إن شاء الله تعالى ؛ ثم إن الرجل خرج من عنده وذهب إلى داره وأتاه فى الوقت المذكور ، فذهبا إلى الشيخ ودخلا إلى الزاوية وسلما عليه ، ثم إن الشريف قال له : ياسيدى ، أعطنى يدك المباركة أقبلها وأمسح بها وجهى ، لعل الله يفرج عنى مما نزل بى ، فقال له الشيـخ : لابأس عليك إن شاء الله ووضع يده على عينيه ، فأخذها الشريف وصار يمسح بها وجهه وعينيه ، وهو يبكى ويتضرع إلى الله بجاهه ، ويقول له : ياسيدى ، ادع الله لى أن يشفينى ، ويفرج

الكرب عنى ، فدعا له أن يخلصه الله مما أصابه ، ثم أقيمت الصلاة فتقدم الشيخ وصلى الشريف خلفه ، فلما انقضت الصلاة قام إليه صديقه وأخذ بيده وأراد الخروج به ، فرآه الشيخ وهو خارج فأمر برده ، وقال له : لا تجزع فإن الفرج يأتيك قريبا إن شاء الله تعالى ، ولا تشكر فى ذلك إلا الله تعالى ، ثم إنه خرج من عند الشيخ وهو يبكى وله شهيق وزفير إلى أن وصل إلى داره ، وفارقه الرجل الذى خرج به ودعا له بخير وذهب إلى محله ؛ ثم إن الشريف دخل الدار وآوى إلى فراشه لينام وهو مذهول العقل ، وقد شرد النوم عنه تلك الليلة واعتراه سعال عظيم من شدة البكاء ، وبقى مسترسلا معه إلى الصباح ، ففتح عينيه على حين غفلة فوجد الضوء داخلا من الباب ، فصار ينظر إلى أثاث بيته فلم يخف عليه شىء منها ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثناء جميلا ، ثم أيقظ أهله وأمرها بفتح الباب ففعلت ، ثم بشرها بأن بصره قد انفتح وتفضل الله عليه بالشفاء من بركة الشيخ رضى الله تعالى عنه وقد استجاب الله دعاءه ، ثم إن زوجته خرجت وبشرت أهل منزلها كافة اهـ .

(ومن كراماته) رضى الله عنه : أن شيخاً من شيوخ الوقت ممن كان له قدم فى طريق القوم من أصحاب الشيخ سيدى محمد بن صالح ، وكانت له شهرة وأتباع وزاوية يطعم بها ، فوقعت وحشة ومكاشرة بينه وبين سلطان الوقت ، وقد أدى ذلك إلى أن صرف الشيخ المذكور همته بإهلاك السلطان وإضراره ، وكان السلطان المذكور تحت كلاءة الشيخ سيدى محمد بن عيسى ورعايته ومن المنسوبين عليه ، فدخل عليه ذلك الشيخ المكاشر له ليلا وذلك فى الغيب ليوقع به ما أراد ، وبيده حربة كأنها قطعة نار ، والسلطان بين النائم واليقظان ، وقد رأى ذلك ولم تكن له قدرة على الكلام ؛ فلما وصل إليه وهم بضربه ، وجد الشيخ الكامل سيدى محمد بن عيسى واقفا ويده على رأسه كالحافظ له ، فقال له الشيخ رضى الله تعالى عنه : تنح عنه يا ميشوم ، ألم تعلم أنه تحت كلاءتى ورعايتى وليس لك عليه من سبيل ، اذهب فقد سلبك الله ما وهبك ، فرجع ذلك الشيخ من حيث أتى مسلوبا ، وكان ذلك سببا لتخليه وانحطاطه .

وقد أحس بالنقص فى نفسه وفى حاله وما كان يعتاده من شأنه ، وظهرت عليه آثار ذلك ظاهرا وباطنا ، وتفرقت عليه الجموع ، وتعطلت الزاوية ؛ فبينما هو فى بعض الأحيان فى مسجد جامع القرويين ، وقد التقى بالشيخ سيدى أبى الرواين ، فلما رآه سيدى أبو الرواين أنكر حالته لأنه كان يعرفه قبل ذلك ، وقد أعطاه الكشف الصحيح بأنه مسلوب ، فقال له : ما شأنك ؟ فأجابه وهو مكسور مدحوض حزين القلب ، وقص عليه خبره وما وقع له مع الشيخ سيدى محمد بن عيسى ، فاغتم الشيخ أبو الرواين غما شديدا ؛ ثم إن الشيخ المسلوب عطف على الشيخ أبى الرواين ، وقال له : يا سيدى ، نريد من الله ثم منك أن تكون واسطة بينى وبين الشيخ بأن يسامحنى ويرضى عنى ، فساعده الشيخ سيدى أبو الرواين على مطلوبه ، وقال له : اذهب معى إلى مكناسة الزيتون ، ويكون الخير إن شاء الله تعالى ؛ ثم إنهما ذهبا إلى مكناسة ، فقال له الشيخ أبو الرواين : نقصد دار الشيخ سيدى محمد بن عمر بن داود المختارى ليكون عونا لنا على هذا الأمر ، فقرعا عليه الباب فخرج وأخبراه بالقصة ، وقالا له : إنا نطلب منك الإعانة لنا على هذا الأمر ، فقال لهما : إذا كان يوم الجمعة إن شاء الله تعالى نذهب إلى الزاوية والشيخ بها ومعه الفقراء فيكون أبلغ لنا فى الشفاعة عنده ، فاتفقوا على ذلك ؛ ثم إن الشيخ سيدى محمد بن عمر أنزل الشيخ المسلوب عنده ، فلما أتى يوم الجمعة ذهبوا إلى الزاوية والشيخ بها فوجدوه جالسا فى حلقة الذكر يذكرون الجلالة ، فلما فرغوا من الذكر قام إليه جميع الفقراء يصافحونه على عادتهم فى ذلك ، وقام معهم الشيخ سيدى أبو الرواين ، وسيدى محمد بن عمر ، والشيخ المسلوب ، فلما نظر إليه الشيخ رضى الله تعالى عنه ، قال له : من أتى بك إلى هنا ؟ فأخذ الشيخان سيدى أبو الرواين وسيدى محمد بن عمر يقبلان أقدام الشيخ ويعطفانه عليه حتى قبله وعفا عنه ، ثم أمره بالانصراف ، فقال له : يا سيدى ، إلى أين ؟ فقال له رضى الله عنه : اذهب إلى موضعك كما كنت ، فرجع إلى موضعه وقد انجبر حاله ورجع إلى ما كان عليه أو أحسن ، نعوذ بالله من السلب بعد العطاء اهـ .

(ومن كراماته) رضى الله عنه : مما حدثنى به شيخى سيدى الحاج عبدالسلام براده : أن رجلا فقيها من سكان الخيام ، وله دعوة عريضة فى الولاية وعلوم القوم وتربية المريدين ، وله أتباع كثيرة وهو من المبطلين ، ولما اشتهر ذكر الشيخ وعم الآفاق فى أقطار المغرب وانتشرت أتباعه تحير المبطل من ذلك ، وقال لأتباعه : إنه يريد الذهاب إليه والامتحان له ، فإن وجده على الحالة الكاملة أبقاه وإلا سلبه ، فأمر جماعة من خواص أصحابه أن يذهبوا معه إلى مدينة مكناسة لينظروا حاله ويسمعوا مقاله ويناظروه فى علوم القوم ، فسار إليه ومعه أصحابه وقصدوا زاوية الشيخ فوجدوه جالسا مع أصحابه ويتكلم معهم فى الحقائق المحمدية ، فدخل الرجل المدعى للولاية وأصحابه معه وجلسوا بإزاء ركن من أركان الزاوية ، وصار يسمع فى تقرير الشيخ لأصحابه ، وقد انبهر عقله مما سمعه من غرر الكلام النفيس الذى ما سمعه قط ، ومن فصاحة الشيخ ومن بلاغته ، وقد أخرسه الله تعالى عن الكلام وكذلك أتباعه الذين جاءوا معه وصاروا يبكون على ما فات منهم ، ومالوا بقلوبهم وقوالبهم إلى الشيخ رضى الله عنه ؛ فلما فرغ الشيخ من الكلام التفت إلى الفقيه المبطل ، وقال له : ادن منى ، فقام إليه ودنا منه ، وقال له : أدخل رأسك ههنا تحت جناحى ، وانظر ماذا ترى ؟ فوضع المدعى رأسه تحت جناح الشيخ ، فقال له : انظر وأعد علينا ما رأيت ، فقال له المدعى : يا سيدى قد رأيت خيمتى فى الحلة التى أنا نازل بها ، فقال له الشيخ رضى الله عنه : وما ذلك الذى فيها ؟ فقال : زوجتى ، فقال له الشيخ : وما تفعل زوجتك ؟ فأخبره ، وكانت تزنى مع شخص من أهل الحلة وهو ينظر إليهما ، فقال له الشيخ رضى الله عنه : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والناس كلهم يسمعون مقالته إلى الشيخ : ثم إن الشيخ قال له . يامبطل ، الذى لم يحفظ زوجته ولا خيمته كيف يحظى أبناء الرجال ، ثم نهره ، وقال له : اذهب عنى خيبك الله ، فخرج وهو مذهول العقل وخرج أصحابه معه ، فركب ولم يدر ماجرى له فى الغيب ، وتوجه إلى بلاده ومعه أصحابه ، فلما وصل إلى خيمته وجد زوجته قد ماتت فى ذلك اليوم الذى جاء فيه ، فأخبره أهل الحلة أنها كانت

بالأمس صحيحة ليس بها مرض ، فاعتراها نفخ فى بطنها وتعاظم بها الأمر حتى ماتت ، وقد أخبروه بما فعلت فى غيبته ، فاغتاظ غيظا عظيما ومكث فى خيمته أياما ، وهو كئيب ذليل حزين . واعتراه قلق عظيم مما أصابه من الأمر الذى وقع له مع الشيخ من قضية زوجته وافتضاحه على رءوس الأشهاد ، وقد ندم على فعله وتيقن أن سبب المرض الذى اعترى زوجته فمن تسلط الشيخ عليها حيث فعلت الفاحشة وهى محصنة فدعا عليها بذلك ، وقد بلغنى عنه بأن له السهم النافذ فى إجابة الدعاء رضى الله تعالى عنه ؛ ثم إنه رفض جميع ما فى قلبه من الرعونات ، وعول على السفر لدى الشيخ والرجوع إليه والتوبة بين يديه وأن يدخل فى طريقته ويصير من جملة أتباعه ، فقام مسرعا من حينه وركب فرسه وتوجه قاصدا نحو الشيخ يطلب منه الرضى والصفح عما مضى ؛ فلما وصل إلى مدينة مكناسة ذهب إلى دار الشيخ الولى الصالح سيدى موسى بن عمران المختارى ، إذ هو من خواص أتباع الشيخ ، فقرع عليه الباب فخرج له وسلم وعليه ، وقال له : يا سيدى ، نطلب من فضل الله وإحسانه ، ثم من فضلكم أن تتشفع عند الشيخ فى أخيك هذا الجانى على نفسه على أن يقبلنى بمحض الفضل والإحسان ونتوب على يده وندخل فى طريقته ونصير من جملة أتباعه لعل الله يرحمنى ، فأجابه إلى ذلك لما يعلم من صفاء باطن الشيخ رضى الله عنه ، فذهبا جميعا إلى الشيخ ودخلا عليه ، فتقدم إليه تلميذه الشيخ سيدى موسى بن عمران المذكور ، وصار يقبل أقدام الشيخ ويقول : يا سيدى ، شفعنى فى هذا الرجل الذى معى ، والرجل يبكى ويفعل كفعله ، ويقول : يا سيدى أنا تائب لله ؛ فقال الشيخ : يا أبا عمران ، قد قبلت شفاعتك فيه ، وقبلته مريدا فى الله ، وعفوت عنه من فضل الله ؛ ثم إن ذلك الرجل تاب على يد الشيخ ، ودخل فى طريقته وصار من أتباعه وأقام عنده نحو ثلاثة أشهر بالزاوية هناك ، وهو ملازم هناك للشيخ ، ومراقب له فى جميع أوقاته المدة المذكورة ، وفاز بالرشد والفلاح ، وتهيأ إلى الصلاح ، ثم إن الرجل المذكور طلب من الشيخ الرجوع إلى بلاده ، فأذن له فى ذلك وأمره بالتزويج ، فقام بعد أن ودع الشيخ فركب

وسار إلى بلاده ، وتزوج بزوجة صالحة كما أمره الشيخ ، وقد أصلح الله حاله ، وأحسن بمنه مآله ، وصار من عباد الله الصالحين ، بعد أن كان من المنافقين ، نعوذ بالله العظيم من التعرض لأوليائه اه .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه : أن رجلا من أهل مكناسة الزيتون تولى خطة القضاء بها ودام فى الخطة المذكورة سنينا عديدة ولم تحفظ عليه هفوة ، فمرض مرضا شديدا وتوفى إلى عفو الله ودفن بمقبرته ، فلما أقبر صار يصيح فى كل ليلة صياحا مفرطا يسمعه القريب والبعيد ، وتمادى به الحال على ذلك وضجت الناس من ذلك ، فأتوا إلى الشيخ وأخبروه بالخبر ، فتغير الشيخ من ذلك غيارا عظيما ، وقال : لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وبسط كفيه وقال : اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم ، أن تخفف عنه العذاب النازل به ، ثم أمر جماعة من تلاميذه يذهبون إلى المقبرة ويدورون بالقبر ويقرءون عليه سورة (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير) ففعلوا ذلك ، فمن تلك الليلة لم يسمع له صياح ، وقد رآه رجل من أقاربه موسوما بالخير فى عالم الخيال وهو على أحسن هيئة ، فسأله عن حاله ؟ فقال له : قد غفر الله لى بسبب دعاء الشيخ سيدى محمد بن عيسى نفعنا الله ببركاته آمين .

(ومن كراماته) رضى الله عنه : أنه كان كثير العطب لمن يؤذيه أو يؤذى تلاميذه . منها ما أخبرنى به الشيخ سيدى الحاج عبد السلام برادة : أن رجلا من أهل فاس كان من أهل الخير والصلاح من تلامذة الشيخ سيدى محمد بن عيسى ، له أرض معدة للحراثة مخلفة عن جده شركة بينه وبين أولاد عمه ، ويتصرفون فيها بالحراثة والازدراع والإكراء على قدر منابات‍هم فيها ، فقام عليه أولاد عمه قائلين له : إن المناب الذى عندك من الأرض أكثر من حقك فيها ، وطال الكلام بينهم فى ذلك وترافعوا لدى القاضى بفاس ، فحكم بأن الحق مع أولاد عمه من غير تأمل ولا ثبوت ، وألزم الرجل أن يعترف لهم بالزائد على منابه جورا منه فى الحكم ، إذ كان أولاد عمه من معارف

القاضى ، فقال له الرجل : يا سيدى ، تقضى علىّ من غير ثبوت بل بمجرد الدعوى ؟ فقال له القاضى : قد ثبت عندى صدقهم ، وإذا لم تعترف لهم بما أمرتك به نأمر الآن بسجنك ، فقال له الرجل : يا سيدى ، ليس لى قدرة عليك إلا بالله تعالى وأوليائه ، وأنا رجل فقير عيساوى الطريق نذهب إلى شيخى ونشكوك له ، فقال له القاضى وهو يتهكم عليه : أشكونى له وقل له يعزلنى ، فخرج الرجل وهو يبكى ، ثم ذهب إلى الشيخ وأخبره بما وقع له مع القاضى ، وأنه قد جار عليه فى الحكم ، قال : وقد قلت له : أشكوك لشيخى ، فقال لى : قل له يعزلنى ، فقال له الشيخ رضى الله عنه : عزله بيد الله والله قادر عليه ، فعزل القاضى فى ذلك اليوم ، وقد نسبوه إلى الزور وأخذ الرشا على الحكم ، فعزله السلطان عزلا شنيعا مؤبداً ، ونكل به أشد التنكيل ، فلم يزل معزولا إلى أن مات اه .

(ومن كراماته الشائعة الذائعة) ما اتفق له مع وزير السلطان بمكناسة الزيتون : وهو أن الوزير غضب على بعض خدامه ، فهرب خديم منهم إلى زاوية الشيخ رضى الله عنه ، فسمع الوزير بذلك ، فأرسل إلى الشيخ وهو يطلب منه أن يرسل له الخديم المذكور وعليه الأمان التام ، فأعلم الشيخ بذلك ، فأحضر الخديم بين يديه ، وقال له : إن شئت أن تذهب إلى مخدومك فافعل ، فقال له الخادم : يا سيدى ، إن ذهبت إليه أخاف أن يقتلنى ، فقال له الشيخ : إن قتلك قتله الله ، فذهب الخديم إلى مخدومه الوزير ، وبات عنده ليلتين وفى الثالثة قتله ، ولم يظهر له أثر ، فجاءت أمه إلى الشيخ ، وقالت له : ياسيدى ، إن ولدى قتله الوزير ، فقال لها الشيخ : قد سبق ذلك فى سابق علم الله ، وإن الوزير سيلحقه الآن ، فرض الوزير فى تلك الليلة وسلط الله عليه أكلة فى جسمه فتمزق قطعا شيئا فشيئا ومات ، فاعتبر الناس والسلطان من ذلك ، ومن ذلك الوقت زاد السلطان والأمراء فى احترام حرم زاوية الشيخ ، حتى إن الذى يفعل ماعسى أن يفعل من عظائم الجنايات ، ويذهب إلى الزاوية فلا يلحقه أحد .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه ماحدثنى به شيخى سيدى الحاج عبد السلام برادة : أن رجلا من أهل فاس وكان من أتباع الشيخ رضى الله عنه ، وكان له ولد من أتباعه أيضا ، وقد تملكت به جنية بسبب دعوة قرأها لأجلها ، وكان له ثلاثة من النساء فتركهن وصار لا يكلمهن ولا يقرب ساحتهن ، وكانت الجنية شرطت عليه ذلك فطاعها لما تريد ، وكنّ يتزين ويلبس أحسن ثيابهن ، ويتبرجن ويتعرضن له فلا ينظر لهن ، ولا يلتفت ولا يرفع لهن رأسا ، فأعياهن ذلك ، فشكون إلى والده ، فلما سمع من نسائه ذلك عظم عليه الأمر فركب من حينه وذهب إلى الشيخ ، فوجده جالسا مع أصحابه بالزاوية ، فدخل وسلم وجلس أمامه ، ثم بكى ، فقال له الشيخ : ما يبكيك ؟ فأخبره بحال ولده وما وقع له من أمر الجنية ونسائه . ثم إن الشيخ أوصى والد الولد المذكور على أن يحضر بين يديه ، قال له : نعم ياسيدى ، وبات تلك الليلة بالزاوية مع الفقراء ، ثم ركب ورجع إلى فاس واجتمع بولده ، وقال له : غدا إن شاء الله اذهب إلى الشيخ ، فإنه يأمرك بالقدوم لديه ؛ ثم إن الولد ذهب إلى الشيخ فلما وصل إليه سلم عليه وقبل يديه ؛ ثم إن الشيخ قال له : طالت غيبتك عنا فاعتذر إليه بأشغال الدنيا وأسبابها ، فلم يقبل الشيخ ذلك منه وجعل يعاتبه ويوبخه على أفعاله ، فبلغ ذلك منه الحرج وضيق الصدر من كلام الشيخ ومن هيبته ، ثم سكت الشيخ ، وقال : يا فلانة ، فإذا بالجنية قد حضرت ووقفت بطرف الزاوية بعيدة عن الشيخ ، فقال لها الشيخ : أنت التى فعلت بهذا الرجل هاته الفعال الذميمة حتى إنه ترك زوجاته من أجلك ؟ وهى ساكتة حياء منه : فقال لها الشيخ : تكلمى ، فقالت : ياسيدى ، ما أتيته باختيار منى ، وهو الذى خطبنى بسبب دعوة قرأها واستخدمها لأجلى ، فقال لها الشيخ رضى الله عنه : وحق الاسم العظيم الأعظم لئن عدت إليه بعد هذا اليوم لأفعلنّ بك ما ترى ، فذهبت وكان ذلك آخر العهد بها ولم تعد إليه بعد ، وعاد الرجل إلى زوجاته كما كان وانصلح حاله ببركة الشيخ ، نفعنا الله بأسراره آمين .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه ، مما رأيته مزبورا بخط تلميذه الشيخ الفقيه

العالم الولى الصالح أبى الحجاج سيدى يوسف بن أبى مهدى الفجيجى ، قال : كنا ذهبنا مع شيخنا سيدى محمد بن عيسى إلى زيارة ضريح القطب الكبير والغوث الشهير مولانا وسيدنا عبد السلام بن مشيش بجبل العلم ، فلما وصلنا إليه تقدم الشيخ وحده وزار الضريح المبارك ، ثم أمرنا أن نزوره بعده ، وذهب الشيخ إلى خميته المعدة له ، ثم ذهبنا نحن إلى خيامنا ، فلما دخل وقت العصر خرج الشيخ من خيمته وخرجنا معه إلى الصلاة ، فتقدم الشيخ وصلينا خلفه فلما فرغنا من الصلاة ، قام الشيخ وقمنا معه وجلس على قنة الجبل مستقبلا للقبلة قريباً من الضريح وجلسنا أمامه ، فصار الشيخ يحدثنا على قدرة الله تعالى وعظمته وجلاله وكرامة أوليائه إلى أن قال : فمن كرامة الله تعالى لهم إذا قال أحدهم لهذا الجبل : تحرك فيتحرك بقدرة الله وجلاله وعظمته ، قال : فتحرك بنا الجبل من حينه فمشينا وصرنا نتشبث بالحجارة التى هناك ، فقال له الشيخ رضى الله عنه : اسكن أيها الجبل بقدرة الله تعالى ، إنما ضربت بك المثل ، فسكن الجبل من حينه اهـ .

قلت : وهذه الكرامة شبيهة بالكرامة التى يرويها الشيخ سيدى عبد الله ابن سلطان ، عن شيخه القطب سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه ، قال : كنت ذات يوم جالسا مع أستاذى القطب مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه على رأس جبل العلم بقرب الخلوة ، وكان الشيخ يتلو فى القرآن العظيم إلى أن وصل إلى قوله تعالى (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) الآية فأصاب الشيخ حال عظيم ، وكان يتمايل يمينا وشمالا ، والجبل يميل معه حيث ما مال الشيخ سيدى أبو الحسن ، فكنت نقبض بيدى الأرض والحجارة مخافة من ذلك ، وكان من دعاء الشيخ سيدى عبد السلام بن مشيش : اللهم من سبقت له الشقاوة فلا يصل إلينا ، ومن وصل إلينا فأنا شفيعه يوم القيامة اهـ .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه ، ماحكاه تلميذه الشيخ أبو الرواين المحجوب ، قال : كان شيخنا سيدى محمد بن عيسى رضى الله عنه يجلس بأصحابه بين المغرب

والعشاء بالزاوية ، وذلك على الدوام والاستمرار بقصد التربية لأصحابه والتهذيب لهم ؛ فإذا جاء فصل الشتاء ونزل المطر فى ذلك الوقت ونحن جلوس بين يديه ، وأردنا الانصراف إلى أهالينا بعد الصلاة فى الوقت المعتاد أقلع المطر لا محالة عادة جارية حتى يصل كل واحد منا إلى محله ، ثم يعود المطر إلى حاله ، وذلك من بركته رضى الله عنه .

(ومن كراماته) رضى الله عنه ، مما بلغنى بالتواتر عن أهل مكناسة الزيتون : أن الشيخ كان جالساً فى بعض الأيام فى بعض مصلاه أمام الزاوية ومعه خواص أصحابه ، وقد جاءه وزير السلطان المرينى برسالة من عند سلطانه ، فجلس أمام الشيخ بعد أن فعل الواجب ، وإذا بطائر وهو الطائر المعروف بالبلورج وسلح أمام الشيخ ، فما رفع الشيخ بصره حتى سقط الطائر ميتا وتطاير الريش منه ، فلما رأى الوزير ذلك انبهر عقله وتعجب غاية العجب ، فقام وهو يبكى وأتى إلى الشيخ وقبل يده وتكلم معه سراً ، قال الحاضرون : فسمعنا من الشيخ وهو يقول له : إن شاء الله تعالى ، ثم إن الوزير خرج من عند الشيخ وركب فرسه وتوجه إلى فاس ، وهو متعجب من أمر الطائر .

قلت : وهذه الكرامة أيضاً شبيهة بالكرامة الواقعة على يد الشيخ سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه حين ذرق عليه العصفور وهو يتوضأ ، فرفع إليه رأسه وهو طائر فسقط ميتاً ، فلما تم وضوءه غسل الثوب وباعه وتصدق بثمنه ، وقال : هذا بهذا ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين اهـ .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه مما هو متواتر عن أهل فاس وقد حدثنى به شيخى سيدى الحاج عبد السلام : أن رجلا من أعيان فاس ، وكان من تلامذة شيخنا ، وكان فى كل شهر يذهب إليه بقصد الزيارة والاجتماع به وبالفقراء ، ويبيت بالزاوية هناك ليلة ومن الغد يرجع إلى فاس هذه عادته ، فلما كان فى بعض الأيام أتاه رجل من جيرانه فقيه من كتبة السلطان ، وقال له : يا سيدى ، إذا أردت الذهاب إلى شيخك فأعلمنى بذلك ، لنذهب معك إليه وننظر حاله ونسمع مقاله ، لأن مولانا

السلطان يثنى على الشيخ كثيرا بالثناء الجميل ، ويقول : هو صاحب الوقت فى هذا الزمان ، وإن الحل والعقد بيده ، وقد اتخذته وسيلة بينى وبين الله ، وكان هذا الرجل الكاتب ينكر كرامة الأولياء ، وإن جميع أهل فاس يعلمون منه ذلك حتى السلطان ، فقال له التلميذ : إذا صفت نيتك فلا بأس بذلك ، وأنا غدا إن شاء الله تعالى عازم على الذهاب إليه ، فقال له الكاتب : غداً إن شاء الله تعالى آتيك بعد صلاة الصبح ، وذهب إلى محله ومن الغد جاء إليه وهو راكب على فرس من عتاق الخيل ، وذهبا إلى الشيخ فدخل التلميذ على عادته وسلم عليه بأكمل سلام ، ثم استأذن الشيخ فى دخول الكاتب فأذن له فى ذلك فدخل وسلم على الشيخ وجلس فى جملة الأتباع وصار يسمع فى كلام الشيخ ووعظه لأصحابه ، وكان كلامه متوجهاً إليه لا لغيره من سوء الظن وعدم الاعتقاد ، فتغير قلبه وندم على المجىء إلى الشيخ وبقى متغيرا كذلك إلى الصباح ، فلما جاء الشيخ إلى الزاوية وقت صلاة الصبح وجد الكاتب جالساً مع الأتباع هناك ، فتقدم الشيخ إلى الصلاة والأتباع خلفه والكاتب معهم ، فلما انقضت الصلاة قام الكاتب وتكلم مع صاحبه على أن يرجعا إلى فاس ، فقال له : نعم ، وأمر عبدا له كان معهما أن يأتيه بالفرس ، وخرج من الزاوية ينتظر العبد والفرس ، ثم إن الشيخ رضى الله عنه أمر تلميذه سيدى أبا الروائن ، وقال له : اخرج للفرس الذى جاء عليها هذا الكاتب المنكر لكرامات الأولياء ، وقل لها : لاتترك صاحبك يركب عليك ، قال له نعم ، فخرج فوجد العبد قد أتى بالفرس فحاذاها سيدى أبو الروائن ، وقال لها مقالة الشيخ ، فتمنعت عليه الفرس وانتصبت حتى صارت كأنها الكلب الكالب ، ولم يبق لصاحبها طمع فى القرب منها البتة ، فرجع إلى الزاوية وأخبر صاحبه الذى جاء معه بخبر الفرس وما وقع له معها ، فتقدم صاحبه إلى الشيخ وأتاه حبوا ، وقال له : ياسيدى ، سألتك بالله العظيم ، وبالنبى الكريم ، أن تصفح وتتجاوز عن هذا الرجل ، فقال له الشيخ : أنا ما فعلت هذا الفعل إلا لأجل إنكاره لكرامات الأولياء ، ثم إن الكاتب المذكور أقبل على الشيخ وجعل يقبل أقدامه ويطلب الرضى والعفو عنه ،

فرضي عليه وعفا عنه وسامحه وأمره بالتوبة فتاب على يده توبة نصوحا ، وقد شفاه الله من أمراض قلبه وأذعن للشيخ واعترف بالحق ، ثم سلم على الشيخ وطلب منه الدعاء فدعا له بخير وتوجه مع صاحبه إلى فاس وهو فرح بانعطاف الشيخ عليه اهـ .

(ومن كراماته) الشائعة رضي الله تعالى عنه ما حكاه تلميذه الشيخ سيدى محمد ابن عمر بن داود المختارى ، قال : كانت زوجتي قد أصابها صداع فى رأسها ، وتألمت منه الألم الشديد ، وقد كانت هى وجميع من بدارنا من أتباع شيخنا رضى الله عنه ، فكان فى بعض الليالى وقد اشتد بها المرض حتى صارت تصيح يسمع صوتها من كان خارج الدار ، وصارت تتوسل إليه بالشيخ سيدى عبد القادر الجيلى ، وتقول : يا سيدى عبد القادر صرختك وبركتك معى ، ثم أخذها النوم فنامت فرأت الشيخ سيدى عبد القادر فى النوم كأنه داخل عليها إلى البيت ، وعلى رأسه عمامة خضراء وعباءة حمراء اللون ، فقال لها : كم تناديني وتستغيثى بى وأنت لا تعلمى أنك فى زاوية شيخك وفى حمايته ، وهو رجل من المتمكنين والمتصرفين فى أحوال الدنيا ، ونحن لا نجيب من دعانا وهو فى حماية غيرنا من أولياء الله . وقد يحق لك أن تقولى يا سيدى محمد ابن عيسى فيعافيك الله ، فقالت ذلك فأصبحت برئة كأن لم يكن بها مرض أصلا ، قال : ولما ذهبت إلى الزاوية عند صلاة الصبح وجدت الشيخ هناك ، فلما أتيته لنسلم عليه ضحك فى وجهى ، وقال لى : قل لزوجتك تشكر الله تعالى وتثنى بالجميل على المؤدب الذى أدبها البارحة ، فقلت له : يا سيدى ، خيرنا كله من بركاتكم ورضاكم عنا ، وقد تعجبت من صحة كشفه واطلاعه على أحوال مريديه .

قلت : ويؤيد مقالة الشيخ سيدى عبد القادر الجيلى : نحن لا نجيب من دعانا وهو فى حماية غيرنا ، ما قاله الشيخ الولى الصالح العالم العلامة سيدى مصطفى البكرى المصرى رحمه الله تعالى : إن من كان متمسكا بطريقة شيخ كامل ناصح ، فلا تقضى له حاجة من حوائج الدنيا ولا من حوائج الآخرة إلا على يد شيخه اهـ .

(ومن كراماته) رضى الله عنه ما سمعته بالتواتر من أهل مكناسة يتحدثون به

عن الشيخ : أن وزير السلطان المريني وضع على قبيلة من قبائل العرب يقال لهم السوالم ، جانبا من المال يدفعونه له فى مصالح الجيش ، ولا قدرة لهم على دفعه ، فأتوا إلى الشيخ وطلبوا منه أن يتشفع لهم عند الوزير بأن يحط عنهم النصف من المال ، ويدفعون له النصف الآخر ، فقال لهم الشيخ : نعم ، ويفعل الله مايشاء . ثم إن الشيخ أرسل للوزير مع رجل من أصحابه وأعلمه بقضية السوالم ، وبطلبهم منه الشفاعة فيهم على نحو ماذكر ، فلم يرض الوزير بذلك ، وقال : لا نقبل شفاعة أحد فيهم ؛ ثم إن الرسول رجع إلى الشيخ وأعلمه بمقالة الوزير فتغير من ذلك ، وقال للسوالم : اذهبوا إلى أماكنكم فلا قدرة له عليكم وإنما القدرة لله الواحد القهار ، فخرجوا وذهبوا إلى منازلهم ؛ ثم إن الوزير لما خرج رسول الشيخ حصل له ورم فى بطنه وسرى فى جميع بدنه حتى كاد يهلك ، فأرسل لبعض العارفين بالطب فعالجوه وعجزوا عن مداواته ، والمرض فى ازدياد وهو يتضجر ، فقال له بعض نصحائه : يا سيدى ، هذا المرض الذى أصابك ليس بمرض ، وإنما هو من تغيير خاطر الشيخ سيدى محمد بن عيسى عليك ، فقال الوزير : هذا هو الصواب فاحملونى إليه ونستعطفه ونطيب خاطره لعل الله يرزقنى بالشفاء ، فحملوه فى محفة وساروا به ومعه خواصه ، فلما وصل إلى الشيخ ودخل عليه ، قال له الشيخ : الآن جئتنى ياقليل الأدب ؟ ألم تعلم أن الله تعالى يغضب لغضب أوليائه ، فصار أصحابه يترفقون بالشيخ وهو معهم حتى حن عليه وعفا عنه وسامحه وأوصاه بأن لايعود إلى قلة الأدب ، ثم أمر رضى الله عنه بسويق ممزوج بسمن وعسل ، فلما حضر بين يديه وضع يده المباركة فيه ، وقال له : كل من هذا تبرأ إن شاء الله تعالى ، فأكل الوزير منه ثلاث لقيمات ، فوجد الشفاء وخف عليه الحال من حينه ، فلما رأى نفسه كذلك ، قال للشيخ : يا سيدى ، إنى قد رفعت عن قبيلة السوالم المال الذى وضعته عليهم ، ولا أقربهم بسوء أبدا مادمت فى قيد الحياة اه .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه ، مما هو شائع : أن رجلا أعجميا من الخوارج دخل المغرب واستقر بتوات وادعى الولاية الكبرى ، وأن له إذنا عاما

فى تربية المريدين ، وله دعوى عريضة فى علوم القوم والتنزلات الإلهية ، وكان يبغض الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم ، فاجتمع عليه من العامة هناك خلق كثير ، وكان يكاشفهم بما يقع لهم فى بيوتهم مع أهاليهم ، ويخبرهم بجميع أحوالهم كلها من بيع وشراء وحراثة وغير ذلك ، وأن له جنية صاحبها بطريق الاستخدام ، وهى التى تخبره بجميع الوقائع التى يدعى الكشف بها ، ولما كثرت أتباعه وعلا اعتقادهم فيه أمر بعضاً من كبار مريديه أن يكتبوا له أسماء جميع مريديه صغارا وكبارا ، ويجمعونها فى كتاب ويأتون به إليه ليطلع على ذلك ففعلوا ، فلما نظر فى الكتاب المذكور واطلع على الأسماء كلها ، فمن وجد اسمه أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا رضى الله تعالى عنهم يشطب على ذلك الاسم ، ويأمر بإتيان الشخص المسمى به ، ويحول اسمه باسم آخر ، حتى حول جميع أسمائهم وذلك من شدة بغضه فى الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم وعن الأولياء أجمعين . ولما وقع منه هذا الأمر ذهب بعض من أقارب الأشخاص الذين حوّل أسماءهم ممن لم يدخل فى طريقته إلى القاضى وأخبره بذلك ، فثبت عليه ذلك وصعب عليه رده لكثرة أتباعه ، فأرسل القاضى إلى السلطان وأخبره بما وقع وأنه عاجز عنه ، فلما اتصل هذا الخبر بالسلطان تغير وبقى مفكرا فى أمر هذا الرجل وما يفعل معه ، فاقتضى رأيه أنه يرسل الوزير إلى الشيخ سيدى محمد ابن عيسى رضى الله تعالى عنه ويعلمه بما أخبر به قاضى توات عن حال هذا الرجل الأعجمى وفعله القبيح واعتقاده الفاسد ، وأن السلطان رد هذا الأمر إليك وما تشير به علىّ نفعله ، فلما سمع الشيخ مقالة الوزير غضب غضباً شديداً ، وقال : قبحه الله من ملحد وأمسك عن الكلام ، ثم قال للوزير : ها أنا أكتب إليه كتابا لعله يتوب ويرجع عن هذا الاعتقاد الفاسد ، فإن رجع وتاب فبها ونعمت ، وإلا نرسل له بإذن الله تعالى دويبة من حشرات الأرض تقتله ، فكتب له كتاباً يأمره فيه بما ذكر ، وفى آخره : وإن لم تتب فإن الله يرسل لك دويبة من حشرات الأرض تقتلك ، وطوى الكتاب وناوله للوزير وأمره بإرساله للأعجمى ، ثم إن الوزير رجع إلى السلطان وأعلمه

بأن الشيخ كتب للأعجمى كتاباً ينهاه فيه عن اعتقاده الفاسد ، ويأمره بالتوبة لله تعالى ، وكتب له فى آخره : وإن لم تتب وترجع عن هذا الاعتقاد فالله يرسل لك دويبة تقتلك ، وقد أرسلت الكتاب المذكور مع شخص من الدوائر ، فانشرح قلب السلطان لذلك وتعجب من كلام الشيخ ، ثم إن الخديم لما وصل إلى توات ذهب إلى القاضى ، وقال له : أرسل معى رجلا من أتباعك يذهب معى إلى محل الرجل الأعجمى ، فإننى لا أعرفه ، فقال القاضى : أنا أذهب معك وأدلك عليه ، فذهبا معا وقرع الباب عليه فخرج رجل من أتباعه ، فقالا له : قد أردنا الاجتماع بالشيخ ، فأعلمه بذلك فأمر بإدخالهما إليه فدخلا ، ثم إن الخديم أخرج الكتاب وناوله إياه فأخذه الأعجمى وفكه وقرأه ، فصار يحرك رأسه استهزاء بقول الشيخ ، ومزق الجواب ، وقال للخديم : قل له يرسل ما يريد ، فخرج القاضى والخديم وذهب كل منهما فى حال سبيله ، فلما جاء الليل وأراد الأعجمى أن ينام فى خلوته ، فلما استقر فى فراشه دبت عليه عقرب ، ودخلت بين رجليه فلدغته فى أنثييه فمات فى الوقت ، وقد أراح الله منه البلاد والعباد اهـ .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه مما هو مأثور عن تلميذه الشيخ سيدى محمد ابن عمر بن داود المختارى ، قال : ولقد جئت يوماً لشيخنا ، وقلت له : يا سيدى ، مريدك — يعنى نفسه — قد تعلق بخاطره الاجتماع بالسيد الخضر عليه السلام ، لعلمى أنه من أحبابك ونريد من فضل الله وفضلكم أن تجمع بينى وبينه فى هذا اليوم ، فقال له الشيخ : ياولدى ، أخاف عليك أن لاتستطيع رؤيته ، فقال له : سألتك بالله اجمعنى به ولو كان فى ذلك إتلاف روحى ، فقال الشيخ : نعم يا ولدى فأنت أهل لذلك ، اجلس ههنا حتى آتيك ، فقام الشيخ ودخل إلى خلوته وغاب عنى ساعة ، ثم خرج من الخلوة ومعه رجل أبيض اللون مشرب بحمرة طويل القامة وعليه ثياب بيض ، فلما وقع بصرى عليه صرت نرتعد من عظيم هيبته وكثرة أنواره ، وقد ثقل جسمى وانخرس لسانى عن النطق ، فجلس بإزاء الشيخ رضى الله تعالى عنهما ، وصارا يتحدثان ويتكلمان بكلام خفيف ، وأنا ماكث ذاهل العقل لا قدرة لى على الكلام . ثم إن

السيد الخضر عليه السلام التفت نحوى ونظر إلىّ ، وقال للشيخ : يا سيدى محمد ، أستوصيك خيرا بابن عمر ، فإنه سيصير رجلا له شأن عظيم ، ثم لما أراد الانصراف قرأ هو والشيخ فاتحة الكتاب ثلاث مرات ، وقرأ سورة لإيلاف قريش ، ثم صليا على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم إنه خرج وقام معه الشيخ وشيعه إلى باب الزاوية ، وأنا باق على حالتى ، فلما رجع الشيخ وضع يده المباركة على رأسى فذهب عنى ما كنت أجده من الثقل فى أعضائى ، وانطلق لسانى ورجعت لما كنت والحمد لله ، فأخذت يد الشيخ وقبلتها ، فقال لى : يا ولدى ، ها أنا قد جمعتك بالسيد الخضر عليه السلام ، ويجمعك إن شاء الله بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم اهـ .

(ومن كراماته) رضى الله تعالى عنه ، مما هو مأثور عن تلميذه الشيخ سيدى أبى الرواين المحجوب ، قال : وقد كان فى بعض السنين فى حياة شيخنا لما أتى شهر ربيع الأنور ، وقد وردت علينا الوفود من الأتباع وغيرهم ، من سائر أقطار المغرب ، لقصد زيارة الشيخ فى هذا الشهر المبارك على عادتهم فى ذلك ، وهذه العادة جارية وباقية مستمرة بمغربنا من حياة الشيخ رضى الله عنه إلى زماننا هذا ؛ فلما كانت ليلة الميلاد أتونى وكلاء الطعام ، وقالوا لى : عندنا من الطعام والسمن والغنم والبقر شىء كثير إلا العسل ، فعندنا منه جانب قليل لا يفى بهذه الأركاب فى السبعة الأيام ، فها نحن أعلمناك بذلك ، قال : فذهبت إلى الشيخ وأعلمته بالخبر فسكت عنى ، ثم قال لى : مر وكلاء الطعام يذهبون فى هذه الليلة عند ثلث الليل الأخير إلى وادى أبى فكران وأنت معهم ، واحملوا معكم الأوانى الفارغة واملئوها من ماء الوادى ، وأرجعوها إلى محلها ، فإذا حضر طعام العصيد وأردتم وضع العسل فيه ، فصبوا عليه من ذلك الماء فتجدونه عسلا طيباً بقدرة الله تعالى ، وأطعموا الوفود منه وفضل الله سبحانه وتعالى يعم الجميع . ثم إن الشيخ سيدى أبو الرواين ذهب إلى الوادى ومعه الوكلاء وفعلوا كما أمرهم به الشيخ رضى الله تعالى عنه ، فلما حضر الطعام وضعوا مكان العسل من ذلك الماء فوجدوه عسلا طيباً كما قال الشيخ ، ثم بعد ذلك أتاه تلميذه

سيدى أبو الروain المذكور وهو يبكى ، فقال له الشيخ : ما يبكيك يا أبا الرواين ؟ فقال له : يا سيدى ، إذا عشنا فى هذه الدنيا بعدك فمن نسأله فى قضاء حوائجنا ؟ فقال له الشيخ : من كان بينه وبين شيخه قدر ذراع من تراب فإنه يسمع كلامه ويقضى حوائجه . وقد أعطانى ربى التصريف فى الحياة وبعد المماة ، فمن كانت له حاجة عند الله تعالى ، فليأت إلى قبرى ويجلس تجاه وجهى ويذكر حاجته فأقضيها بقدرة الله تعالى اهـ .

(ومن كراماته الشائعة) رضى الله تعالى عنه ، مما حكاه لى الشيخ المسن البركة الولى الصالح أبو عبد الله سيدى محمد بن عمر الحسناوى الشحيحى رحمه الله تعالى ، وكان عيساوى الطريق ، قال : بلغنى أن قبيلة سحيم وفدت على شيخنا فى سنة من السنين فى شهر ربيع الأنور بمولده صلى الله عليه وسلم ، وكان أهل هاته القبيلة كلهم من أتباعه ، ومن المحبوبين عنده ، وكان يقول رضى الله عنه : أهل سحيم أعز علىّ من أولاد صلبى ، فأمر الشيخ أهله بإصناع الطعام لهم ، وأنزلهم بدار كبرى بإزاء داره .

ثم إن الشيخ دخل إلى داره فوجد أهل الدار كلهم فى غاية التعب من قلة عدم المناول ، فنظر إليهم الشيخ وقال لهم : جعل الله البركة فيكم وفى طعامكم ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يأتيكم بالمعين ممن يقوم بطبخ طعام الفقراء الوافدين إلينا ، إنه على ذلك قدير .

ثم بعد ثلاثة أيام قدم رجل تاجر من أهل فاس ، واستأذن فى الدخول على الشيخ فأذن له فى ذلك فدخل عليه وقبل يديه وجلس أمامه ، وقال له : ياسيدى ، أنا رجل تاجر من تجار السودان ، ولك عندى أمانة وهى أربعة وعشرون عبداً ذكوراً وإناثاً أرسلهم لك معى حاكم السودان ، فقال له الشيخ : وكيف ذلك ؟ فقال له : ياسيدى ، لما كنت مسافرا فى بلاد السودان بقصد التجارة وقد طالت إقامتى هناك ، فلما قضيت أشغالى وأردت الرجوع إلى وطنى أتانى رسول من طرف حاكمهم ، وأمرنى أن نتوجه إليه مع الرسول فذهبت إليه ودخلت عليه فرحب بى وأمرنى بالجلوس فجلست وأكرمنى

غاية الإكرام ، ثم قال لى : بلغنى عنك أنك مسافر إلى وطنك ، فقلت له : إن شاء الله تعالى ، فقال لى : عندى إليك حاجة وهى أمانة الله عندك ، نريد إرسالها معك إلى مولانا وسيدنا الشيخ الكامل القطب سيدى محمد بن عيسى المكناسى رضى الله تعالى عنه ، ونريد من فضله وإحسانه قبولها منى على وجه الهدية ، وتطلب لنا منه الفاتحة والدعاء الصالح ، فقلت له : يكون لك ذلك إن شاء الله تعالى ثم رجعت إلى محلى ، فلما قرب السفر أرسل لى العبيد المذكورين ، وأرسل معهم مايكفيهم من الزاد ، وقد أرسل لى عبدين صغيرين ، وقال لى : هما لك برسم خدمتك فى الطريق ، فسافرت وتوجهت إلى وطنى ، وها أنا قد جئتك بالعبيد ، فأدخلهم الشيخ ونظر إليهم فأمر بحمل الإناث من قدامه إلى الدار ، وبحمل الذكور إلى البستان بقصد الخدمة والحراسة اهـ .

فصل فى ذكر وفاته رضى الله تعالى عنه

على ماقاله الشيخ الإمام العلامة الأوحد سيدى عبد الرحمن الفاسى

فى كتابه الموسوم بـ [ابتهاج القلوب]

قال : إن الشيخ الإمام القطب سيدى محمد بن عيسى ، نفعنا الله ببركاته آمين ، توفى فى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، ودفن بروضة زاويته من جهة الغرب خارج باب البراذعيين من مدينة مكناسة الزيتون حرسها الله تعالى آمين ، قال : وقد أتاه فى تلك السنة بقرب وفاته ، الشيخ الولى الصالح ، والزناد القادح ، أبو محمد سيدى عبد الرحمن المجذوب ، وأخذ عنه الطريق ، بعد أخذه عن الشيخ الولى الصالح أبى الحسن سيدى على الصنهاجى ، وبعد انصرافه لخدمة الشيخ الولى الصالح أبى حفص سيدى عمر الخطاب وأخذه عنه ، وبعد أخذه عن الشيخ أعجوبة الدهر سيدى أبى الرواين المحجوب ، تلميذ الشيخ سيدى محمد بن عيسى المتوفى المذكور ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، ثم بعد وفاة الشيخ رحمه الله تصدّر للمشيخة وتربية المريدين وإرشادهم إلى سبل الهدى ، ولده الفرع

الكريم ، الحسيب النسيب ، الفقيه النبيه ، الولى الصالح ، الورع الفاضل ، سيدى عيسى المهدى أدام الله حفظه ، وكان استقراره رضى الله عنه فى التصدر للمشيخة بالإذن الصريح من والده رضى الله عنهما ، وكان أخذه للطريق عن والده بالعهد والصحبة والإذن العام ، وقد فتح الله عليه بالولاية وحصل له منها الحظ الوافر ، والتحق بحزب سلفه المبارك ، فما ونى فى ذلك ولا قصر بمجلس رضى الله عنه لإرشاد المريدين وإفادة السالكين ، فهو البحر الذى لا يجارى فى المعارف والأسرار ، والآية الكبرى فى حل الشبهات من خوارق الأنوار ، يتكلم فى الحقائق والأذواق كأنها من عوائده ، وكلامه مع كل أحد على حسب موارده ، معظما لأهل الخصوصية من أصحاب أبيه يلاينهم وينزلهم منازلهم ولا يتعداهم فى أمر من الأمور ، وهم ناظرون إليه وعاكفون عليه منزلا عندهم منزلة شيخهم ، وكذلك أتباعهم ، وله مآثر جمة رضى الله تعالى عن جميعهم أجمعين .

اللهم إنا نتوسل إليك بهم فإنهم أحبوك ، وما أحبوك حتى أحببتهم ، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك ، فتمم لنا ذلك مع العافية الشاملة التامة الكاملة ، حتى نلقاك يا أرحم الراحمين .

واعلموا إخوانى أبان الله لى ولكم معالم السعادة ، ورزقنى الله وإياكم الحسنى وزيادة ، أن شيخنا وأستاذنا وسندنا سيدى محمد بن عيسى رضى الله عنه ، منذ انتقل إلى دار الكرامة لم تخل الأرض من طائفة من أصحابه ، يجتمعون على قراءة أحزابه وأوراده وأذكاره ، وتكونوا فرطا لمن سبق فى علم الله أن يكون من أحبابه ، ما ماتت طائفة إلا وخلفتها أخرى كانت نشأت عنها وتعلمت منها ، وقامت بالأمر فى شئون الطريقة العيساوية الجزولية بعدها ، وهكذا إلى زماننا هذا ، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يبقى ذلك كذلك مادام القرآن يتلى ، وسراج الدين يجلى ، وكون الأرض لم تخل من أصحاب الشيخ ابن عيسى رضى الله تعالى عنه منذ توفى إلى الآن ، لا ينكره إلا حاسد ، ولا يجحده إلا معاند اللهم أزح عن خواطرنا شبه المبطلين ،

واكشف عنا حجب الشكوك ونوّر بصائرنا وقلوبنا بأنوار اليقين ، واجعلنا من الفائزين المخاطبين بقولك (ادخلوها بسلام آمنين. دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، إلى يوم الدين آمين .

هنا تم مختصر الشيخ أحمد بن المهدى الغزال فيما قصد جمعه

رحمه الله آمين
